الفصل الأول

نشأة الكاتب

– المدلول اللغوي للكاتب

الكاتب : لغة

الكاتب والكتّاب : "معروفان ، ورجل كاتب ، والجمع كتّاب وكتبة وكاتبون ، وحرفته الكتابة . والكتّاب : الكتبة . قال بن الاعرابي : الكاتب عندهم العالم . قال الله تعالى : ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ (الطور / الآية ٤١) وفي كتاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) الى اهل اليمن : قد بعثت اليكم كاتبا من اصحابي ، اراد عالما ، سميّ به لان الغالب على من كان يعرف الكتابة ، ان عنده العلم والمعرفة ، وكان الكاتب عندهم عزيزا ، وفيهم قليلا .

وكتب الرجل واكتبه اكتابا : علمه الكتاب . ورجل مكتّب : له اجزاء تكتب من عنده . والمكتّب : المعلّم ، وقال اللحياني : هو المكتّب الذي يعلم الكتابة "(١) .

والسّفرة : " الكتبة واحدهم سافر ، وهو بالنبطية سافرا .

قال الله تعالى : ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ (عبس / الآية ١٥) ؛ وسفرت الكتابة اسفره سفرا .

والسّفرة : كتبة الملائكة الذين يحصون الاعمال ؛ قال ابن عرفة : سميت الملائكة سفرة لانهم يسفرون بين الله وبين انبيائه ، قال ابو بكر (الرازي) : سمّوا سفرة لانهم ينزلون بوحي الله وباذنه وما يقع به الصلاح بين الناس ، فشبهوا بالسفراء الذين يصلحون بين الرجلين فيصلح شأنهما . وفي الحديث : مثل ماهر بالقران مثل السّفرة ؛ وهم الملائكة جمع سافر ، والسافر في الاصل الكاتب ، سمي به لانه يبين الشيء ويوضحه . قال الزجاج : قيل للكاتب سافر ، وللكتاب سفرٌ لان معناه انه يبين الشيء ويوضحه . ويقال اسفر الصبح اذا انكشف واضاء اضاءة لايشك فيه . وفي التنزيل العزيز :﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ، كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ (عبس/ الآية ١٥) ؛ قال المفسرون : السّفرة هي الملائكة الذين يكتبون اعمال بني ادم واحدهم سافر مثل كاتب وكتبة ؛ قال ابو اسحق : واعتباره بقوله : ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ (٢) (الانفطار/ الآية١١) . وفي اللغة العربية الفاظ تؤدي معنى الكاتب كـ : **الخطّاط والورّاق والمرقّن والمرقّم والمدوّن والمحبّر والمرقّش والمحرّر والمدبّج والمبنّد والمنمنم والمقيّد والموثّق والنّاسخ والمزوّق والمسجّل والنّامق والمسوّد والماشق والمسطّر** (٣) وغيرها .

---

(١) ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي : لسان العرب ، تحق : يوسف خياط ، مراجعة الشيخ العلامة عبدالله العلايلي ، بيروت : دار لسان العرب ، ١٩٥٦ ، (ق–ي) ، ص٢١٧ .

(٢) المصدر نفسه ، (ز–ف) ، ص١٥٥ – ١٥٦ .

(3)Yazir, Mahmud Bedreldin: Kalem Guzeli, I, Ankara, 1972 p.154.

– مصطلح الكاتب في النصوص المسمارية

لعل اقدم مصطلح سومري عبر عن معنى الكاتب هو مصطلح (**اومبيساك** UMBESAG) (٤) .

وورد احيانا بصيغة (**اوبسَك** UBISAG) (٥) .

ولا تتوفر لدينا معطيات دقيقة حاليا عن ماهية المصطلح سوى ما ورد في النصوص المعجمية عن اصناف الكتبة اذ يأتي مع المقطع (**شد** SID) الذي سترد الاشارة اليه لاحقا ، ليرادف كلمة (**طبشر** *tupsarru*) الاكدية(٦) .

ويرد مع هذا المصطلح مصطلح اخر هو (**سنكا** SINGA) وهو احد اصناف الكهنة ، فقد كان الكاتب عادة من بين الكهنة ، بل ان الكهنة ، عدّوا حقا الاباء الشرعيين لفن الكتابة والكتّاب .

ان اقدم ذكر للعلامة المسمارية التي دوّن بها هذا المصطلح (**سنكا** SINGA او SANGA) جاءتنا من نصوص مدينة الوركاء في الطبقة (٤أ) من اروقة معبد الالهة انانا ، ويقابل هذا المصطلح في اللغة الاكدية مصطلح (**شنكم** *sangum*) الذي يضاهي المصطلح السومري تماما ، ونادرا ما كتب هذا المصطلح بشكل مقطعي ، كما يرد المصطلح غالبا في نصوص العصر البابلي القديم بصيغة المصطلح السومري (E. BAR / SANGA) ، اذ ورد هذا المصطلح مرارا في العديد من النصوص التاريخية والدينية والاقتصادية والطبية والرسائل والعقود ونصوص الفأل(٧) .

وفيما يتصل بالمعنى الذي يعكسه مصطلح (SANGA) ، يرى احد الباحثين ان اصل الكلمة تعني المحاسب لكون العلامة المستخدمة للتعبير عنها تقرأ ايضا (SID) السومرية وبالاكدية (**مَنُو** *manu*) ومعناها يعدّ ويحسب(٨) . في حين يرى باحث اخر ان كلمة

---

(٤) لوكاس ، كرستوفر : حضارة الرقم الطينية وسياسية التربية والتعليم في العراق القديم ، ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة ، بغداد : دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٠ ، ص ٢٩ .

(5) MSL, XIII, col. 255a , p. 25 .

(6) AHw, p. 1395 .

(٧) حسين ، ليث مجيد : الكاهن في العصر البابلي القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩١ ، ص٢٧ .

(8) Langdon. S, “Babylonian Liturgies , Paris , 1913 , p. XXI , n , 6 ”

(SANGA) هي بالاصل (SAGGA) ، والعلامة (ساك SAG) تعطي معنى الرأس او الهامة(٩) .

وكان الكاهن والكاتب السومري الشهير (دودو) حاملا للقب (SANGA. MAH) في معبد الاله (ننكرسو) (١٠) .

وفي وقت لاحق شاع مصطلح اعم اخر في اللغة السومرية يتألف من مقطعين هو مصطلح (**دب سار** DUB. SAR) (١١) .

فقد ورد هذا المصطلح في النصوص المسمارية بعد تطور العلامات الكتابية من الرمزية الى المقطعية الصوتية وتحديدا في منتصف الالف الثالث قبل الميلاد . وليست هناك اشارات الى ورود هذين المقطعين منفصلين عن بعضهما للتعبير عن معنى الكاتب الا ان مقطع (دب DUB) ظهر مركبا مع مقاطع صوتية اخرى عند الاشارة الى عدد من المهن ومن ذلك ظهوره مرتين في قائمة المهن في تركيبة (SIN. GA. DUB) كما ورد هذا المصطلح في نصوص سلالة اور الثالثة عند الاشارة الى مراتب بعض الفئات الاجتماعية للافراد(١٢) .

فقد اطلق الحكام والمسؤولون من اصحاب الدرجات العالية على انفسهم هذا اللقب ، كما اطلق على بعض من اصحاب المهن المتميزة آنذاك ممن كانوا على معرفة باسرار الكتابة ورموزها ايضا(١٣) .

ومن خلال قراءة النصوص الاقتصادية من العصر السومري الحديث ايضا تبين أن مصطلح (DUB. SAR) كان يطلق على الفرد الذي نال تعليما أو الذي أسند اليه عمل خاص وتسلم مهام وظيفة في الدولة اوان له وظيفة في المعبد ، كما يمكن عدّه بنفس مفهوم ومعنى الكاتب في وقتنا الحاضر(١٤) .

والملاحظ في هذا المصطلح انه ورد بصيغة التركيب (الالصاق والالحاق) وهي من خصائص بنية اللغة السومرية(١٥) ، والتي تتصف بدمج كلمتين او مقطعين او اكثر لتأليف كلمات اخرى ذات معان جديدة ، وهذا ما ينطبق عليه مصطلح (دُب . سار DUB . SAR)

---

(9) Labat . R, “Le Caractere Religieux De la Royaute Assyro-Babylonienne , Paris , 1939 , p. 2. 4 ” .

(١٠) حسين ، ليث ، المصدر السابق ، ص٢٨ .

(١١) لوكاس المصدر السابق ، ص٢٩ .

(12) Nissen , H. et al . Archaic Bookeeping. Paul Larsen (Tr) , University of Chicago , USA., 1993 PP. 105-106 .

(13) Ibid , P. 106 .

(14) SSM , P.37

(١٥) عن قواعد اللغة السومرية ، ينظر : رشيد ، فوزي : قواعد اللغة السومرية ، بغداد ، ١٩٧٢ .

فالمقطع الاول (دُب DUB) تعني (لوح طيني) ، اما المقطع الثاني (سار SAR) فيعني (كتَبَ) وبجمع المقطعين او الكلمتين نتجت عنهما كلمة ثالثة هي (دب . سار DUB. SAR) التي تعني (كاتب اللوح الطيني) (١٦) .

وقد استمر استخدام هذا المصطلح في النصوص الادبية في العصور اللاحقة(١٧) .

وبعد قيام الدولة الاكدية في حدود القرن الرابع والعشرين ق.م تبنى الاكديون نظام الكتابة المسمارية في تدوين لغتهم من خلال المكاتبات الرسمية والشخصية ، فظهر لدينا خلال هذه الفترة مصطلح جديد هو (**طُبشَرُّ** *tupsarru*) للتعبير عن كلمة كاتب(١٨) .

ويبدو واضحا انه كان للموروث اللغوي السومري اثره في انتقال هذه الكلمة الى الاكديين فقد اقتبسوا كلمة (DUB . SAR) السومرية وتم تحويرها بطابع اكدي كشأن غيرها من الكلمات السومرية التي توارثوها وتصرفوا بها وبما يلائم كتابة لغتهم ولفظها ، فقد ابدل الاكديون الحرف النطعي (*dental*) (الدال) الى (الطاء) وحرف الباء المجهور (b) الى حرف الباء المهموس (p) والحرف السني (*sibilant*) (السين) الى حرف سنّي اخر وهو (الشين) . وهكذا تحولت كلمة (دبسار) الى (طُبشرُّ)(*) .

ومن الجدير بالذكر ان هذا المصطلح اقتبسه الكشّيون في مدة سيطرتهم على بابل حيث يظهر في قوائم المهن من تلك الفترة(١٩) .

ومن دراسة النصوص القانونية والاقتصادية العائدة الى بداية العصر الاشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م) يظهر لدينا مصطلح اخر هو (**لُ-آبا** ^{LU}. A. BA) (٢٠) .

---

(16) MSL , XII, P.98 .

(١٧) الجادر ، وليد ، وفاضل ، عبد الاله : دور العلم والمعرفة في العراق القديم ، مجلة المورد ، مج ١٦ ، العدد ٣ ، ١٩٨٧ ، ص١٠٠ .

(18) MDA, No . 138, p. 99 .

(*) هنا يتاورد الى الذهن السؤال الطريف عن علاقة كلمة (طبشرُّ) الاكدية بالكلمات : (طباشير ، دفتر ، دفتر دار ، طابو) التي تؤصل على انها ذات اصول فارسية او سريانية او تركية او ذكرتها المعاجم بانها غير عربية ويبدو ان ظاهرة القلب والابدال المكاني بين الحروف قد صيّرتها الى ماوصلت اليه لان هذه الكلمات قريبة من اللفظ الاصلي وذات علاقة بالكتابة ولا تبتعد كثيرا عن المعنى في اللغة السومرية او الاكدية ، حول ظاهرة الابدال ينظر : كمال ، ربحي : الابدال في ضوء اللغات السامية ، جامعة بيروت العربية ، ١٩٨٠ .

(19) Holscher, Monika : "Die Personennamen Der Kassitenzeitlshen Texte Aus Nippur, Band I, 1996 Rhema, p.5" .

(20) MDA P. 237 .

وهو تعبير يعكس باللهجة الاشورية الحديثة عن معنى (كاتب) ويترجم حرفيا بـ (رجل الالف باء) (٢١) .

وهي اشارة صريحة الى تأثير الكتابة الهجائية واللغة الآرامية في تدوين بعض النصوص باللهجة الاشورية الحديثة ، وظهور الكتبة الآراميين في البلاط والحياة الاشورية ، فقد استخدم الكتبة الآراميون الحروف الابجدية البسيطة التي لا تتعدى اثنين وعشرين حرفا قياسا الى كثرة العلامات المسمارية المقطعية المعقدة ، في مدوناتهم على الرقوق واوراق البردي كما شمل ذلك كتابة الرقم الطينية والالواح .

ومن العصر ذاته ورد في النصوص القانونية والاقتصادية ايضا مصطلح **(صابت – طبّي** *sabit-tuppi*) الذي يرد غالبا في نهاية الرقم الطينية ويقصد به (ضابط اللوح او الرقيم الطيني او ماسك اللوح وكاتبه وحافظه او كاتب العقد) (٢٢) .

ويرى احد الباحثين(*) بهذا الخصوص ان مصطلح (لُ – آبا ^{LU}. A. BA) ماهو الا تعبير عن وظيفة (السكرتير) الذي يجيد الكتابة فضلا عن امكانية ظهوره في قائمة الشهود في أي عقد او نص ، اما مصطلح (صابت – طبّي *sabit–tuppi*) فيذهب الى القول انه كاتب الضبط لقضايا المحاكم او في العقود الاقتصادية فقط ، بدلالة عدم ورود هذا المصطلح في ختام كتابة الرسائل او المعاهدات او المعاجم اللغوية او الكتابات الادبية والتاريخية وغيرها ، أي ان وظيفته مقصورة ومحددة في العقود حصرا لاغير .

وان كان هذا التخريج من الاستاذ الباحث لا يعني بالضرورة ان يكون مصطلح (لُ – آبا ^{LU}. A. BA) يقصد به دائما (السكرتير) بدلالة اقتران هذا المصطلح مع مصطلح (صابت – طبّي *sabit-tuppi*) حيث ورد المصطلحان بهذه الصيغة (^{LU}. A. BA sabit–tuppi) في احد النصوص(٢٣) والمقصود هاهنا كاتب وضابط اللوح ، على التوالي .

ومنذ بداية القرن الثامن ق.م بدأت اللغة الارامية تنافس اللغة الاكدية في الاستخدام ، وعلى الرغم من عدم وجود دولة آرامية قوية تسند انتشارها وتفرض استخدامها ، فقد حلت اللغة الارامية تدريجيا في الاستخدام محل اللغة الاكدية في المنطقة وصارت بحروفها الابجدية البسيطة تقتحم معاقل اللغات المحلية الاخرى ايضا كاللغة العبرية والفينيقية والآرامية في بلاد

---

(٢١) الجادر ، وفاضل : دور العلم ، المصدر السابق ، ص١٠٠ .

(22) CDA, 2000, pp . 330-331 .

(*) في لقاء مع أ.د. علي ياسين الجبوري / رئيس قسم الدراسات المسمارية / جامعة الموصل .

(23) ADD, No. 475 , Rev. 8 = SAA, VI, p. 111 .

الشام ، كما ونافست لغات الاقوام الاجنبية الغازية بعد ذلك ، كالفارسية واليونانية ، الى ان سادت المنطقة كلها وغدت اللغة الرسمية في مدوناتها(٢٤) .

وفي حدود القرن الخامس ق.م ظهر مصطلح اخر وهو (سبيرُ *sepiru*) أي كاتب الرّق الذي يضاهي الكلمة العربية (سافر) ، اذ ورد في النصوص المكتشفة في موقع نفر ان "سبيرُ كان كاتبا ومترجما لمختلف العمال المستخدمين في المدينة"(٢٥) .

بداية الكتابة المسمارية ومراحل تطورها

جاء في قصة اينمركار الحاكم السومري مع سيد ارّاتا ما نصه (صنع كاهن كلاّب الاعلى بعض الطين وكتب عليه كلمات كما لو كان رقيما . في تلك الايام لم تكن الكلمات المكتوبة على رقم الطين موجودة بعد . اما الان فمع شروق الشمس ، كتب كاهن كلاّب الاعلى كلمات على رقم الطين ، وهكذا كان ..) .

يشير النص إلى ان الكتاب السومري كان يعرف تماما ان الكتابة لم تكن معروفة منذ زمن بعيد وانها ابتكرت في بلاد سومر نفسها وقد اكدت التنقيبات الاثرية التي اجريت في مدن العراق الجنوبية ان اقدم الرقم الطينية التي تحمل علامات كتابية كانت فعلا في بلاد سومر اذ اكتشفت في حرم معبد أي انا Eanna في الطبقة الرابعة من موقع الوركاء . لقد كانت تلك العلامات هي بداية الطريق نحو التدوين الذي غدا يميز العصور التالية . وقد مرت العلامات الكتابية بمراحل ثلاثة متداخلة اكتمل في اثنائها نظام التدوين واصبحت منذ مطلع العصور التاريخية في حدود ٣٠٠٠ قبل الميلاد وهذه المراحل هي :

المرحلة الصورية Pictographic stage

هي اولى مراحل جميع الكتابات المعروفة وفي بلاد الرافدين اكتشف اكثر من خمسة الاف رقيم طيني من دور الوركاء /الطبقة الرابعة عثر على معظمها في حرم معبد أي انا في الوركاء وعثر على قسم منها في كل من تل العقير وجمدة نصر –وخفاجي واور وشروباك وكيش وذلك منذ مطلع القرن العشرين . وتمثل هذه الرقم اقدم الرقم المكتشفة حتى الان لذا عرفت بالرقم

---

(٢٤) سليمان ، عامر : اللغة الاكدية ، الموصل : مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، ١٩٩١ ، ص٧٥ .

(25) Sasson, Jack. M : The Scribes and Scholars of Ancient Mesopotamia, In : Civilazation of the Ancient Near East, vol, IV, New York , P. 2274 .

القديمة ، او الاقدم archaic tablets ، أي الرقم الاركائية . وعرفت ايضا برقم ماقبل المسمارية proto cuneiform اذ كانت العلامات الكتابية مرسومة عليها بقلم مدبب الرأس يتم تحريكه على الطين الطري لرسم الشيء المادي المراد التعبير عنه رسما تقريبيا .

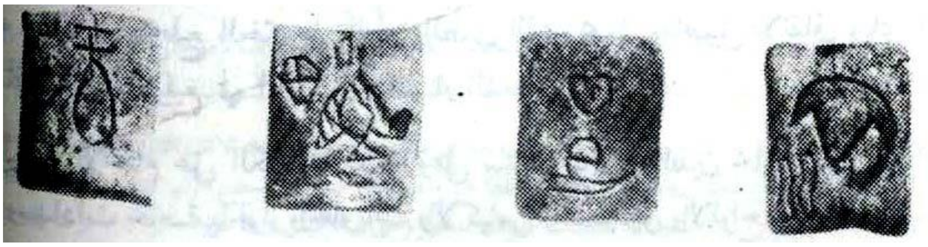

وعرفت العلامات المدونة على هذه الرقم بالعلامات الصورية pictographic لانها تصور بشكل تقريبي الاشياء المادية ، وعرفت المرحلة التي استخدمت فيها تلك العلامات بالمرحلة الصورية المبكرة من تاريخ الكتابة

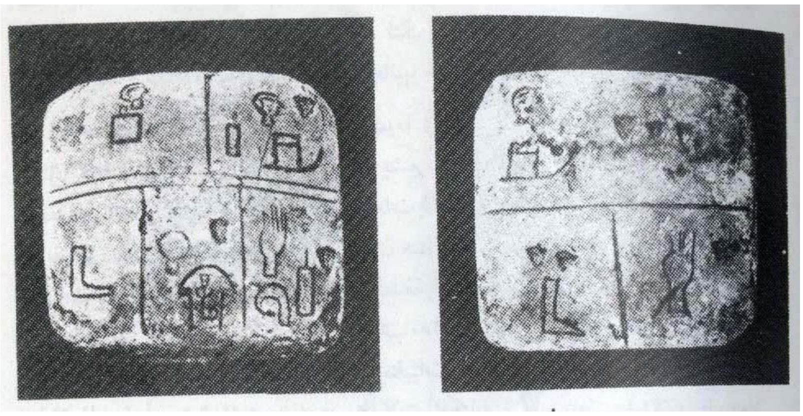

كانت صورية الا ان قسما منها استخدم احيانا وفق الاسلوب الرمزي ايضا ideographic ، اذ كانت العلامة الواحدة تعبر عن كلمة معينة او فكرة معينة . والمعروف

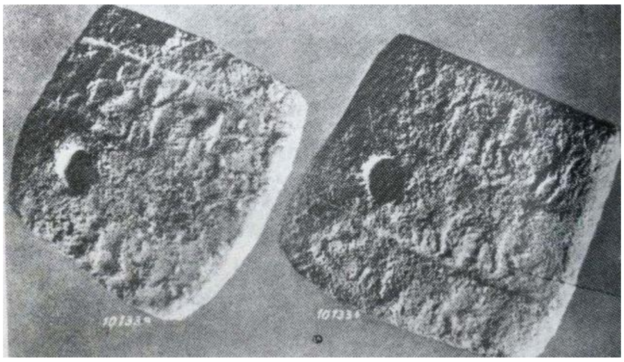

انه لايمكن تحديد اللغة التي استخدمها الكاتب عند استخدام علامات صورية ورمزية فقط اذ يمكن قراءة مثل هذه العلامات المجردة من السوابق واللواحق باية لغة كانت دون التقيد بلغة

الكاتب الذي كتبها طالما لا تعبر مثل هذه العلامات عن اللغة او الكلام المحكي ولا تضم الادوات النحوية اللازمة لتكوين الجمل والعبارات بل انها عبارة عن رسوم تقريبية لاشياء مادية فحسب والى جانبها ارقام تشير إلى اعدادها او كميتها .

ان حقيقة ان قسما من العلامات المرسومة في هذه المرحلة المبكرة من تاريخ الكتابة لا تمثل تماما الشيء المادي الذي تعبر عنه يشير إلى ان تلك العلامات كانت قد مرت بمرحلة من التطور سابقة عندما كانت العلامات المرسومة تطابق من حيث الشكل الاشياء المادية التي تعبر عنها . إلى جانب ذلك ، فان هناك قسما من العلامات تعبر عن اشياء او حيوانات لم يكن لها وجود في دور الوركاء / الطبقة الرابعة مما يشير إلى انها استخدمت اول مرة في زمن سابق عندما كانت الاشياء والحيوانات موجودة في المنطقة او في غيرها من جنوبي بلاد الرافدين وبما ستكشف لنا تنقيبات مقبلة عن ألواح الوركاء / الطبقة الرابعة في مدن اخرى ، اوان محاولات الكتابة الاولى كانت قد تمت على مواد سريعة التلف ، كالجلود مثلا حالت تربة السهل الرسوبي الرطبة دون بقائها .

اما مضامين النصوص المكتشفة فغالبها كان ذا مضامين اقتصادية وتقدر نسبة النصوص الاقتصادية إلى مجموع الرقم المكتشفة باكثر من ٨٥% اما الرقم الاخرى الباقية فكانت لغوية مدرسية . اذ ضمت قوائم باسماء مختلفة مثل اسماء الحرف والاسماك والطيور والمعادن والمدن ..الخ . اما الرقم الاقتصادية فتضم قوائم توزيع الجرايات ووصولات تسلم الحيوانات والنسوجات والاطعمة والمعادن وخزنها .

وضمت الرقم ذات المضامين الاقتصادية غالبا علامات تمثل الاشياء المراد الاشارة اليها والى جانبها علامات تدل على الاعداد او الكميات وغدت الرقم وكأنها سجلات تثبت ما يدخل المعبد او يخرج منه اذ وجدت غالبية الرقم في حرم المعبد . وتشير دراسة الارقام المكتوبة على هذه الرقم ان الكتبة استخدموا كلا النظامين العشري والستيني في الحساب . ويرى بعض الباحثين ان هذه الرقم تمثل تطورا منطقيا لعدد من وسائل التذكر التي سبقت الاشارة اليها فبعد ان كان يرفق بالاشياء والحيوانات المقدمة إلى المعبد ، مثلا ، دلالات (بطاقات) طينية tokens مثقوبة من احدى زوايا لغرض ربطها او تعليقها بالشيء او الحيوان الذي تعود له وقد تظهر عليها طبعة ختم اسطواني تشير إلى هوية صاحب الشيء وعليها علامات خاصة بالارقام ، استعيض عنها برسم الاشياء او الحيوانات المقدمة على لوح من طين واشير بجانبها إلى اعدادها ا وكميتها وطبع عليها الختم الاسطواني كي تبقى تذكر وتخبر بما دخل المعبد او خرج منه

بشكل اوضح وليس كالدلالات الطينية التي اذا ما فصلت عن الشيء او الحيوان الذي تعود له فقدت اهميتها ولم تعد وسيلة للتذكر او الاخبار (٢٦) .

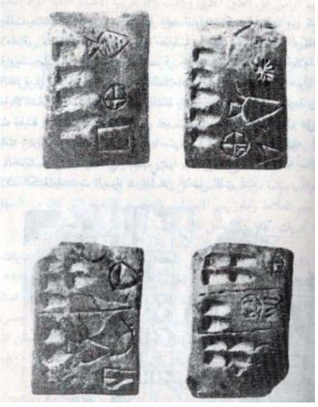

كانت اشكال العلامات الصورية المبكرة واضحة المعالم غالبا ويمكن معرفة الشيء المادي الذي تعبر عنه ، وقد تمثل العلامة رسما للشيء المادي بكامله ، كالعلامات التي استخدمت للدلالة على السمكة والمحراث والسفينة وغيرها ، وقد تمثل العلامة جزءا من الشيء المراد التعبير عنه فقط . مثل العلامات التي تمثل رأس ثور للدلالة على الثور ومع ذلك تجردت طائفة من العلامات وابتعدت تدريجيا عن الاصل الذي تمثله وفقدت احيانا اية صلة بالاصل ، وقد استعان الباحثون في تتبع اصول مثل هذه العلامات بالمشاهد المنقوشة على الاختام وحاولوا تعيين اشكال العلامات .

وظلت طائفة من العلامات غامضة ولم يتمكن الباحثون من تتبع اصولها كالعلامات التي تمثل الثور مثلا فانه يصعب مطابقتها مع شكل الثور في رقم الوركاء / الطبقة الرابعة ويستحيل ذلك في رقم جمدة نصر في حين يمكن تعرف اصل العلامة التي تعبر عن الخنزير في رقم الوركاء . ويبدو ان العلامات التي تصور اشياء او حيوانات شائعة وواسعة الانتشار او الاستخدام ، كالثور والشاة والرجل وغيرها ، رسمت بسرعة وعناية قليلة فكانت بعيدة عن الشيء الذي تمثله في حين رسمت العلامات التي تدل على اشياء او حيوانات نادرة نسبيا بعناية اكثر ودقة فجاءت رسمها بشكل واضح ، فاختلفت اساليب الرسم باختلاف الكتبة وابتعدت الرسوم تدريجيا عن الاصل الذي تمثله (٢٧) .

من رقم الوركاء / الطبقة الثالثة

---

(٢٦) انظر مثلا Gelb, I.J., A Study of Writing, London, 1952, pp. 61-63.

(٢٧) سليمان ، عامر : الكتابة المسمارية ، دار الكتب للطباعة والنشر ،جامعة الموصل ، ٢٠٠١ ، ص ٤٦.

أسلوب كتابة العلامات

سبقت الاشارة إلى ان اقدم الالواح التي تحمل علامات كتابية بطريقة تحريك قلم مدبب الرأس على الطين الطري ورسمت رسما تقريبيا الاشياء المادية المراد التعبير عنها . ومنذ اواخر دور الوركاء / الطبقة الرابعة ، وفي رقم الوركاء من الطبقة الثالثة وما بعدها ورقم جمدة نصر ، حدث تغيير مهم في اسلوب كتابة العلامات على الطين . فبعد ان كان الكاتب يرسم العلامة بقلم مدبب الرأس غدا يطبع العلامة على الطين الطري وذلك بضغط نهاية القلم ذي المقطع قائم الزوايا وبشكل مائل تاركا في كل مرة طبعة غائرة تتألف من خط مستقيم يمثل ضلع مقطع القلم قائم الزوايا ، ومثلثا غائرا يمثل طبعة زاوية مقطع القلم عندما يمسك القلم بشكل مائل ويضغط بزاويته على الطين . وبتكرار عملية طبع القلم تتألف على الطين وفق شكل العلامة المراد رسمها ، تتشكل العلامة وتظهر مؤلفة من مجموعة من الخطوط ، الافقية والعامودية والمائلة ، ينتهي كل خط منها بمثلث صغير غائر ويظهر شكلها وكأنها مؤلفة من طبعة مجموعة من الاسافين او المسامير .ويلاحظ ان الكاتب حاول اختزال رسم العلامة وتجاوز رسم المنحنيات والتفاصيل الدقيقة التي كان من السهل رسمها باسلوب تحريك القلم ، كما نفعل الان عند الكتابة بقلم الحبر او الرصاص .

اما بالنسبة لعدد العلامات الكلي المستخدم ، فيبدو انه كان كبيرا في بدايات الكتابة ثم بدأ بالتقلص حتى استقر العدد في الحقب المتأخرة نسبيا على ما يقرب من ٥٥٠ علامة . فكثرة المواد والاشياء التي كان الكتبة يرغبون بالتعبير عنها كتابة واختلاف اساليبهم في التعبير وفي رسم تلك الاشياء زاد في عدد العلامات المستخدمة . وقد امكن حصر ما لا يقل عن ٢٠٠٠ علامة في رقم حرم أي انا في الوركاء من الطبقة الرابعة (٢٨) ويظن ان عددها كان ضعف هذا الرقم . وفي رقم شروباك كان عدد العلامات المستخدمة ٨٠٠ علامة ، اما رقم جمدة نصر واور ، فقد امكن احتساب ٤٠٠ علامة فقط .

ان تقليص استخدام العلامات شمل العدد كما شمل الشكل ايضا . وكان ذلك في محاولة لتسهيل اسلوب الكتابة ، فمثلا كان هناك اكثر من ثلاثين علامة مستخدمة للدلالة على الشاة في رقم الوركاء /٤ ، في حين اصبح عددها ثلاث علامات فقط في رقم الطبقة الثالثة وتقلص الى

---

(٢٨) انظر Postgate, J.N. “Early Mesopotamia” New york, 1996, P.54.

شكلين فقط في رقم الطبقة الثانية وهكذا بالنسبة للعديد من العلامات . وربما كان الغرض من تعدد العلامات الدالة على شيء مادي واحد ، كالشياه او الثيران ، هو بيان جنس ذلك الشيء او لونه او حجمه ثم استعاض الكتبة عن ذلك بالحاق صفة من الصفات الى العلامات بدلا من كتابتها بشكل خاص . وكان من وسائل تقلص عدد العلامات ايضا دمج علامتين او اكثر بعلامة واحدة مركبة واهمال استخدام العلامات التي تكونت منها . وكان من نتائج هذا التقليص في عدد العلامات ، ولا سيما عن طريق الدمج ، ان اضيف الى معاني العلامة الواحدة معان جديدة وزادت قيمها الصوتية .

ومما يلاحظ انه رافق عدد العلامات المستخدمة واختزال اشكالها بتجاوز التفصيلات الدقيقة ، اتجاه مضاد يعمل على زيادة عدد العلامات . فقد تتطور العلامة الواحدة الى علامتين مختلفتين من اجل شرح الافكار المختلفة المرتبطة بمعنى العلامة ، وقد تدمج علامتان او اكثر لتكون علامة جديدة ثالثة تستخدم الى جانب العلامتين السابقة ، فمثلا العلامة التي تدل على الرأس ، زيد عليها عدد من الخطوط والتفاصيل الافقية فتكونت علامة جديدة تشير الى الفم ، واذا زيد عليها علامة صغيرة تدل على الخبز ، او الاكل اصبح معنى العلامة الجديدة المركبة الفعل اكل وهكذا .

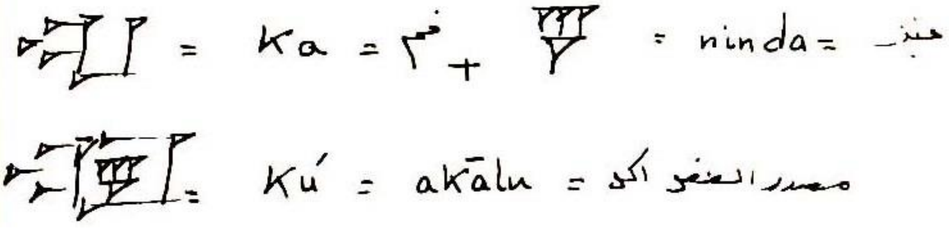

اما بالنسبة لدمج علامتين مستقلتين بعلامة واحدة تحمل معنى جديدا ، فلعل خير مثال لذلك هو دمج العلامة لُ lu التي تعني رجل والعلامة كال gal التي تعني عظيم ، لتكوين علامة جديدة لو كال lugal التي تعني (ملك) او (رجل عظيم) .

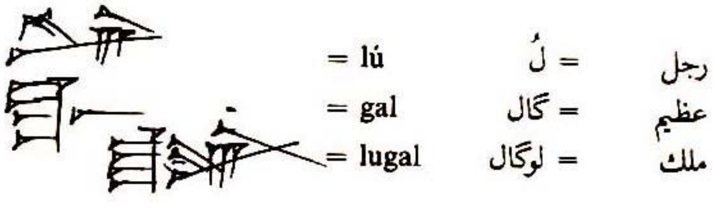

المرحلة الرمزية Ideographic stage

ومهما زاد عدد العلامات الصورية او قل ، فانه لا يمكن بوساطة هذه العلامات التعبير عن كل ما يجول في ذهن الكاتب من افكار وافعال واحداث بل اقتصر التعبير على الاشياء المادية التي يمكن رسمها ولو بشكل تقريبي وبيان عددها او كميتها وربما الاشارة الى صاحبها . وان مثل هذه الطريقة الصورية لا تفصح بالطبع عن اللغة التي كتب بها الكتبة تلك العلامات شأنها في ذلك شأن جميع العلامات والاشارات الصورية المستخدمة حتى الوقت الحاضر ، مثل اشارات المرور ، التي يمكن قراءتها بأية لغة وبغض النظر عن لغة كاتبيها ، وقد حفزت هذه الحقيقة الكتبة الاوائل الى ابتكار طريقة جديدة للتعبير عما يجول في خاطرهم فابتكروا الطريقة الرمزية Ideographic ، أي الرمز الى بعض الافعال والصفات والافكار بكتابة او رسم علامات صورية لاشياء مادية ترتبط ارتباطا وثيقا بتلك الافعال والصفات والافكار ، ولم تعد العلامة الصورية المستخدمة تدل على الشيء المادي الذي تمثله فقط بل غدت ترمز الى كل الاسماء والافعال والصفات التي ترتبط بذلك الشيء . فمثلا العلامة الصورية التي تدل على القدم كشيء مادي غدت تستخدم للرمز الى كل الافعال المرتبطة بالافعال بالقدم مثل المشي والوقوف والذهاب والحمل والجري والعلامة التي تدل على النجمة اصبحت تستخدم للاشارة الى الاله ، الذي هو في السماء ، والى السماء نفسها والى صفة عال، والعلامة التي تدل على المحراث الخشبي اصبحت تستخدم للدلالة على المحراث وعلى الحارث وعلى الحراثة وعلى فعل حرث وهكذا . كما ادمجت بعض العلامات الصورية مع بعضها الاخر للدلالة على معان جديدة . كما ألمحنا ، فمثلا ادمجت العلامة التي تدل على الجبل وتلك التي على المراة لتركيب علامة جديدة تعني (امة) أي (امراة من الجبل) وهو مصدر الاماء في العصور القديمة وهكذا بالنسبة لبقية العلامات المركبة . وبهذه الطريقة المعنوية التي لا يمكن التعبير عنها بالطريقة الصورية المجردة وظلت الطريقتان تستخدمان في ان واحد ومنذ وقت مبكرا جدا . اذ يشير قسم من رقم الوركاء من الطبقة الرابعة ايضا انها ضمت علامات استخدمت استخداما رمزيا على نحو ما ألمحنا ..

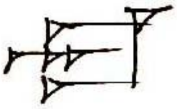

محراث = $^{(is)}$epinnu = apin =

حراثة = erēšu = uru_4

حرث = erēšu

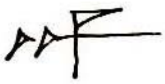

إله = إلُ an = dingir = ilu

سماء = شَموْ šamû

الاله آنو = آنُ Anu

عالٍ = إلِش eliš

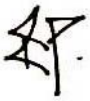

يوم = أومُ UD = ūmu

أبيض = بصوْ pisû

الاله الشمس = شَمَش d. Šamaš

شمسٌ šamšu

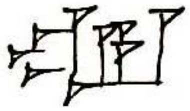

فم + ماء = سقي / شرب = šaqû = nag =

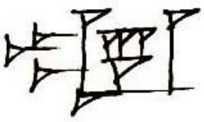

فم + خبز = اكل = akālu = kú =

المرحلة الصوتية (المقطعية) Phonetic stage

وهي اهم المراحل التي مرت بها الكتابة المسمارية واكثرها تعقيدا وتطورا ، فعلى الرغم من استخدام العلامات المسمارية بالطريقتين الصورية والرمزية للدلالة على الشيء المادي الذي يريد الكاتب ان يعبر عنه او يرمز له ، ظلت هذه العلامات قاصرة عن التعبير عن الكلام المحكي ، أي اللغة ، تعبيرا دقيقا بل ظلت عاجزة عن بيان اللغة التي تكلم بها الكاتب واسلوب لفظ العلامات التي رسمها او طبعها على الطين ، كما ان الكتابة وفق الطريقتين الصورية والرمزية لا تساعد على كتابة اسماء الاعلام والادوات النحوية ولا يمكن بوساطتها توضيح صيغ الافعال والاسماء وبيان علاقة المفردات اللغوية المستخدمة في الجملة الواحدة بعضها بالبعض الاخر . لذا كانت الحاجة ملحة لابتكار طريقة جديدة في استخدام العلامات المسمارية تهتم بالصوت الذي تقرأ به العلامة دون المعنى الصوري او الرمزي الذي تدل عليه ، فكانت الخطوة المهمة في ابتكار الطريقة الصوتية في الكتابة Phonetic stage التي تمثل اخر مرحلة من مراحل تطور الكتابة المسمارية اذ ان العراقيين القدماء لم يطوروا كتابتهم الى الطريقة الابجدية التي انتشرت فيما بعد في انحاء العالم كافة لسهولة تعلمها وكتابتها .

لقد بدأ استخدام الطريقة الصوتية في الكتابة منذ وقت مبكر ولا يمكن تحديد بدء استخدامها على وجه الدقة الا انه يمكن تتبعها في رقم الوركاء من الطبقتين الثالثة والثانية وفي رقم جمدة نصر ، وتمثل هذه الرقم اقدم الرقم التي تمكن الباحثون من قراءتها ومعرفة لغتها السومرية . ويبدو ان اول خطوة نحو استخدام الطريقة الصوتية في الكتابة تمثلت في كتابة

الكلمات المتشابهة لفظا في المعنى بعلامة واحدة كانت تستخدم اول الامر للتعبير عن معنى احدى هذه الكلمات . فمثلا كان هناك علامة تستخدم للدلالة على الثوم . وهي العلامة 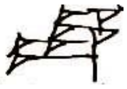 التي كانت تقرأ سُم sum بالسومرية وتعني (ثوم) . ولما كان الفعل (ذهب) بالسومرية يلفظ (سُم) ايضا فقد استخدم الكاتب السومري العلامة نفسها لدلالة مرة على الثوم ومرة اخرى للدلالة على الفعل ذهب وذلك حسب مضمون النص . أي ان الكاتب هنا استخدم القيمة الصورية للعلامة @**شكل**@ 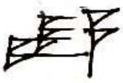 تلفظ sum ، لكتابة كلمة جديدة لا علاقة لها بمعنى العلامة الصورية ، وهو (ثوم) الا انها كانت تلفظ sum ايضا . وقد نجد ما يشابه ذلك في الكتابة العربية من حيث الشكل فقط ، فقد نكتب الكلمة (ذهب) ، مجردة من الحركات ونعني بها معدن الذهب ، وقد نكتب الكلمة نفسها في جملة اخرى ونعني بها الفعل (ذهب) وتحدد الجملة ومضمون النص المعنى الذي قصده الكاتب ، وكذلك الكلمة حية التي تعني مرة الثعبان ومرة على قيد الحياة حسب مضمون النص ولعل اقدم الامثلة على استخدام الطريقة الصوتية في الكتابة هو ما ورد في احد الواح جمدة نصر وهي اقدم الالواح التي تمكن الباحثون من قراءتها ومعرفة لغتها . فقد ورد في اللوح ثلاث علامات مسمارية هي

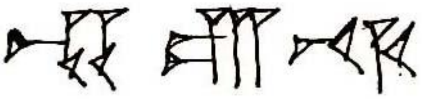

ويمكن قراءة هذه العلامات الثلاث على النحو الاتي : إن . لل . تِ en.lil.ti وكما هو معروف فان العلامتين الاولى والثانية من اليسار تؤلفان اسم الاله انليل ، اله الجو واحد الالهة السومرية الرئيسة ، في حين تعني العلامة الثالثة ، التي تلفظ تِ TI ، (سهم) . وان هذا المعنى لا يستقيم مع معنى العلامتين الاخريين ، اذ لا معنى للعلامات الثلاث اذ ترجمنا العلامة الثالثة على انها تعني (سهم) . لذا حاول الباحثون ان يجدوا معنى اخر للعلامة تِ TI فوجدوا ان الفعل (يحيا) او (يهب الحياة) يلفظ بالسومرية تِ TI ايضا وان الكاتب السومري قد قصد هذا الفعل عندما كتب العلامة @**شكل**@ 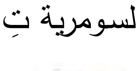 له انليل اذ انه اراد القول ان (الاله انه انليل يهب الحياة) ، وبعبارة اخرى ، فانه استخدم القيمة الصوتية للعلامة 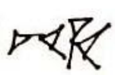 التي تعني سهم ، وهي تِ ti ، دون الالتفات الى معناها حسب الطريقة الصورية. ولم يتوقف الكتبة عند هذا الحد بل انهم استخدموا العلامة لِ 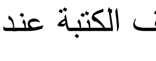 بوصفها مقطعا صوتيا في كتابة اية كلمة اخرى يدخل في تركيبها هذا المقطع سواء أكانت الكلمة اسما او فعلا

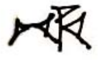

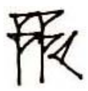

او اداة نحوية او غيرها . وما يقال عن العلامة **@ش** ينطبق على العلامة @ التي كانت تلفظ خَ ha وتعني بالسومرية حسب الطريقة الصورية (سمكة) ثم غدت تستخدم على وفق الطريقة الصوتية المذكورة انفا ، مقطعا صوتيا لكتابة أية كلمة يدخل في تركيبها المقطع الصوتي خَ ha . مثل اسم الملك حمورابي او أي اسم او فعل اخر يدخل في تركيبه المقطع خَ ha . وبعبارة اخرى ، غدت العلامات المسمارية الصورية الرمزية تستخدم من اجل قيمها الصوتية فقط بغض النظر عن معانيها الصورية او الرمزية واصبحت اشبه بالحروف الابجدية التي نستخدمها الان في كتابة اية كلمة والاختلاف بين الحروف الأبجدية وقيم العلامات الصوتية ان الحرف الابجدي يمثل صوتا منفردا consonant ، مثل صوت م m و د d و ب b وغيرها في حين يمثل المقطع الصوتي صوتا صامتا مع حرف علة ، قبله او بعده ، مثل مَ ma و مِ mi و مُ mu و اَم am واِم im و أُم um . . الخ ، وقد يكون مؤلفا من حرفين صامتين بينها حرف علة نحو : لِيل lil و دَم dam ، و نَن nan ...الخ . او من حرفين من حروف العلة بينهما حرف صامت نحو : اَبَ aba و اُدُ udu و اُرُ uru وغيرها . فاذا اراد الكاتب ان يكتب اسم الملك حمورابي مثلا ، وبالطبع لا يمكن كتابة اسماء الاعلام بالطريقة الصورية والرمزية ، كان عليه ان يكتبه بالطريقة الصوتية أي المقطعية وذلك بأن يجزئ الاسم اولا الى عدد من المقاطع الصوتية ، وبالنسبة لاسم حمورابي يمكن تجزئته الى المقاطع خَ و مُ و رَ و بِ ha.mu.ra.bi . ثم يبدأ بالبحث عن العلامات الصورية او الرمزية التي تلفظ مثل لفظ هذه المقاطع دون الالتفات الى معانيها ، ويضع بعضها الى جانب بعضها الاخر ويقصد منها قيمها الصوتية فقط لكتابة الاسم الحمورابي لذا يمكن كتابة الاسم بالعلامات الاتية :

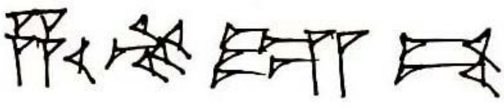

ḫa. mu. ra. bi التي يمكن قراءتها = خَ – مُ – رَ – بِ

ولو اننا دققنا النظر في معاني هذه العلامات الصورية الرمزية لوجدنا انها تعني سمكة (خَ ha) + اسم (مُmu) + ضرب (رَ ra) + شراب (بِ bi) ، الا ان الكاتب لم يقصد هذه المعاني من العلامات بل انه استخدم العلامات من اجل قيمها الصوتية فقط ليعبر بوساطتها عن اسم حمورابي . ولكي يمنع الالتباس على القارئ السومري او الاكدي استخدم بعض وسائل الايضاح ليوضح للقارئ ان المقصود من كتابة هذه العلامات هو كتابة اسم شخص مذكر

فوضع علامة خاصة تعني رجلا قبل مجموعة العلامات التي تمثل الاسم وسيأتي شرح ذلك فيما بعد مما اطلقنا عليه اسم العلامات الدالة determinatives .

وقد افاد الكتبة من طبيعة اللغة السومرية في الكتابة المقطعية كثيرا اذ ان معظم المفردات اللغوية السومرية تتألف من مقاطع احادية ، أي ان الاسماء والافعال فيها يتألف كل منها من مقطع صوتي واحد ، وكان الكتبة قد خصصوا لكل مفردة سومرية تقريبا علامة خاصة استخدموها اول الامر بالطريقة الصورية او الرمزية ، ثم استخدموا قيم تلك العلامات الصورية لكتابة لكمات جديدة يدخل في تركيبها تلك المقاطع الصوتية كما اشرنا سابقا عند كتابة السومرين منذ البدء علامات تدل على معان معينة وتلفظ كما تلفظ حروف العلة ، فهناك علامة تلفظ اَ = a وهي العلامة @**ش** وتدل على 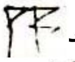 واخرى تلفظ اِ = i @**شكل** وتعني (ا 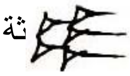 ثة تلفظ اِ = e @**شكل** وتعني وحد 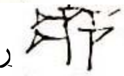 رابعة تلفظ أُ = u @**شكل**@ وتعني نـ 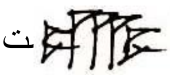 ت هذه العلامات لتعبر عن حروف العلة في اللغتين السومرية والاكدية وكتبت بها الكلمات التي تدخل في تركيبها هذه المقاطع الصوتية دون الالتفات الى معانيها الصورية او الرمزية . فمثلا اذا اراد الكاتب ان يكتب مصدر الفعل الاكدي اَكالُ akalu بمعنى (اكل) فانه يجزئ الاسم الى ثلاثة مقاطع اولا ، وهي اَ a + كَ ka + لُlu ومن ثم يكتب العلامات المسمارية التي تلفظ مثل هذه المقاطع وهي @**شكل**@ فاستـ 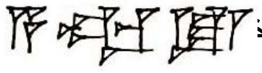 ذي يعني ماء ، كمقطع صوتي فقط . وكذلك بالنسبة للمقطعين الاخرين .

وكانت الطريقة الصوتية (او المقطعية) ، الجديدة ملائمة جدا لكتابة اللغة السومرية بما فيها من اسماء وافعال وصفات وادوات نحوية اذ ان اللغة السومرية لغة ملصقة agglutinative ، أي ان جذر الكلمات ، وكان غالبا احادي المقطع ، يبقى دون تغير عند تغير الصيغة الزمنية او شخص الفاعل بل يزاد الى العلامة التي تعبر عن الاسم او الفعل مقاطع صوتية اخرى قبل الاسم او الفعل او بعده ليحدد المعنى المطلوب كما ان العلامات الصورية والرمزية كانت تمثل في الواقع مفردات اللغة السومرية نفسها اذ انها وجدت اصلا للتعبير عن المفردات السومرية ، لذا لم يضطر الكتبة السومريون الى استخدام الطريقة الصوتية عند كتابة معظم المفردات اللغوية السومرية لما كان هناك علامة صورية او رمزية تعبر عن تلك المفردات الا انهم استخدموا الطريقة الصوتية عند كتابة اسماء الاعلام والاسماء المعنوية والادوات النحوية وسوابق الاسم

والفعل ولواحقها والى غير ذلك من الكلمات والادوات التي لا يوجد بين العلامات المسمارية ما يعبر عنها . ولم يجد الكتبة صعوبة كبيرة في ذلك اذ ضمت العلامات المسمارية الصورية والرمزية مختلف الاصوات الموجودة في اللغة السومرية وكان بالامكان كتابة أي اسم او اداة بانتخاب العلامات المسمارية التي تمثل قيمتها الصوتية ذلك الاسم او الاداة .

المعنى	اللفظ الاكدي	اللفظ السومري	العلامة المسمارية
ماء	مو mu	a	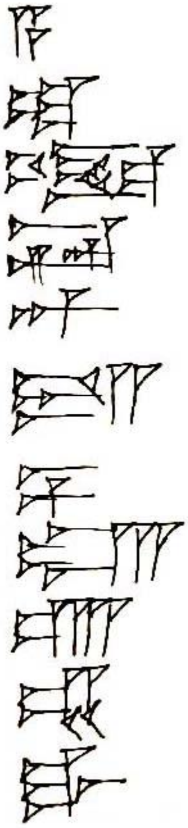
اب	اَبُ abu	ad	
كال	مَدادُ madadu	ag	
ام	أُمُّ ummu	ama	
الاله انو	آنُ anu		
سماء	شَمو samu	an	
جوار	طيخُ tehu	da	
بنى	بَنو banu	du	
لوح	طُبُّ tuppu	dub	
بيت	بيتُ bitu	e	
سيد	بيلُ belu	en	
عظيم	رَبو rabu	gal	

علامات مسمارية ترمز كل منها الى مفردة سومرية قد تكون اسما وقد تكون فعلا او اداة

الا ان الصعوبة في استخدام الطريقة الصوتية (المقطعية) في الكتابة بدأت عندما حاول الكتبة تدوين اللغة الاكدية التي اصبحت منذ عهد الدولة الاكدية (٢٣٧١-٢٢٣٠ق.م) لغة البلاد الى جانب اللغة السومرية . واللغة الاكدية لغة جزرية (عربية قديمة) تشبه اللغة العربية الا انها تختلف تماما عن اللغة السومرية من جوانب عدة فهي تضم اصواتا صامتة ، كالاصوات الحلقية والمفخمة التي لا توجد في اللغة السومرية كما ان تركيبها النحوي وصياغة الاسم والفعل فيها بتغيير بنية الكلمة وحركاتها وذلك بزيادة حركات او حروف على جذر الكلمة في بدئه او

نهايته او بين احرفه الاصلية او حذف حركات او حروف منها بذلك يتغير المعنى ويحدد تحديدا دقيقا وان كل ذلك لا يمكن التعبير عنه بوساطة العلامات الصورية او الرمزية الموجودة في الكتابة المسمارية السومرية المنشأ ، لذا كان على الكتبة ان يجدوا طرائق ووسائل جديدة تساعد على استخدام الكتابة المسمارية لتدوين اللغة الاكدية بأفضل صيغة ممكنة ، وقد حاول الكتبة جهدهم في سبيل تحقيق ذلك من جراء استخدام الكتابة المسمارية كما سنشير الى ذلك فيما بعد .

اما الطرائق والوسائل التي استخدمها الكتبة لجعل الكتابة المسمارية ملائمة لتدوين اللغة الاكدية فمنها :

١- اعتمد الكتبة الطريقة الصوتية بالدرجة الاساس لتدوين اللغة الاكدية واستخدموا قيم العلامات الصوتية مقاطع لتدوين المفردات الاكدية ، فكان الكاتب يجزئ الكلمة الاكدية الى عدد من المقاطع الصوتية ويحاول ان يجد علامات مسمارية فيها قيم صوتية مشابهة لاسلوب لفظ المقاطع الخاصة بالمفردة الاكدية فاذا اراد ان يكتب ، مثلا ، كلمة او يلم awilum بمعنى (رجل) ، كان عليه ان يجزئ الكلمة الى عدد مناسب من المقاطع ، وهي هذه المقاطع اَ = a + وِ = wi + لُم = lum

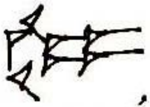

lum = لُم

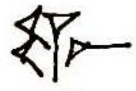

wi = وِ

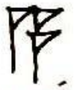

a = اَ

ويكتب بـ

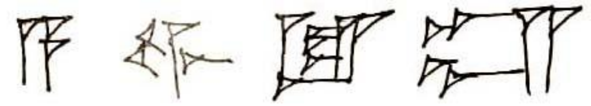

وقد يرغب الكاتب بكتابة الكلمة باربعة مقاطع فيجزئ المقطع الاخير لُم = lum الى مقطعين لُ = lu + أُم = um عندما تكون كتابة الكلمة على النحو الاتي :

اَ – وِ – لُ – أُم a – wi – lu – um

اما الفعل اشل اما isalliamma ، وهو فعل في حالة المضارع من الصيغة البسيطة من المصدر شُلو salu بمعنى قفز ، وقد لحقته النهاية الخاصة بالفعال الحركة – اَم am واداة التأكيد – مَ ma – ، فانه من الممكن كتابته على النحو الاتي بعد تجزئة الفعل الى عدد من المقاطع الصوتية :

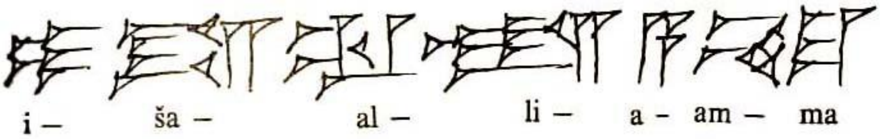

i – ša – al – li – a - am – ma

اِ – شَ – اَل – لِ – اَ – امـ–مَ

وقد يـدمج الكاتـب مقطعين فـي مقطـع واحـد ، فيـدمج مـثلا ، المقطـع شَ = sa والمقطـع اَل = al ويكتـب بـدلا عنهـا المقطـع شَل = sal حسب رغبـة الكاتـب والاسلوب الـذي اعتـاده فـي الكتابة ولا توجد قاعدة عامة لذلك .

٢- ومع ان الكتبة استخدموا الطريقة المقطعية بالدرجة الاساس عند تدوين اللغة الاكدية ، الا انهم استخدموا الى جانب ذلك العلامات المسمارية بمعانيها الصورية او الرمزية وبخاصة في الحقب المبكرة – عصر الدولة الاكدية وحتى بداية العصر البابلي القديم – فاذا اراد الكاتب ان يكتب كلمة رجل اويلم = awilum او كلمة بيت، بيتُم = bitum ، فكان امامه طريقتان اما ان يجزئ الاسم الى مقاطع صوتية وينتخب العلامات المسمارية المناسبة لتدوينها ، كما في الامثلة السابقة ، او ان يستعيض عن ذلك بكتابة العلامة المسمارية التي تعني ، وفق الطريقة الرمزية والصورية ، (رجل) او (بيت) او غيرها من المفردات التي توجد لها علامة مسمارية خاصة تعبر عنها وهي على النحو المبين في الجدول الاتي :

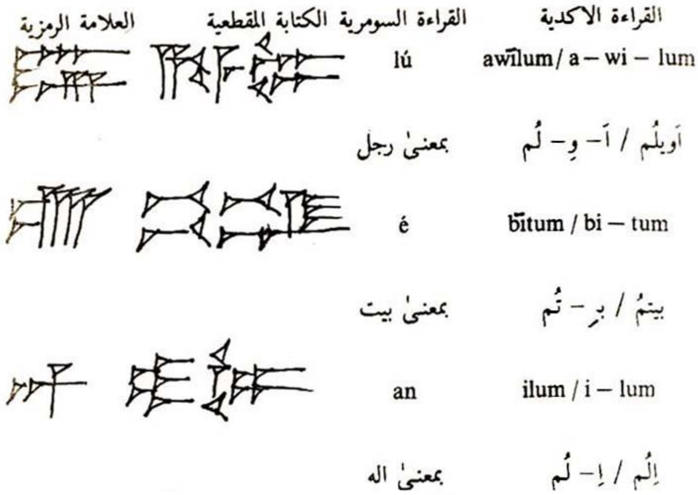

القراءة الاكدية	القراءة السومرية	الكتابة المقطعية	العلامة الرمزية
awīlum / a – wi – lum اَويلُم / اَ– وِ– لُم	lú بمعنىٰ رجل		
bītum / bi – tum بيتمُ / بِر– تُم	é بمعنىٰ بيت		
ilum / i – lum اِلُم / اِ– لُم	an بمعنىٰ اله		

اِلمُ / اِ – لُم بمعنى ا

وقد يستخدم الكاتب نفس الطريقة الرمزية في التعبير عن عدد من المفردات اللغوية الاكدية او الطريقة الصوتية (المقطعية) حسب رغبته دون قيود معينة ، او هكذا يبدو لنا ، ولعل من ابرز الامثلة على ذلك ما نجده في العديد من المواد القانونية من العصر البابلي القديم كما في المثال الاتي المقتبس من المادة السادسة من قانون حمورابي :

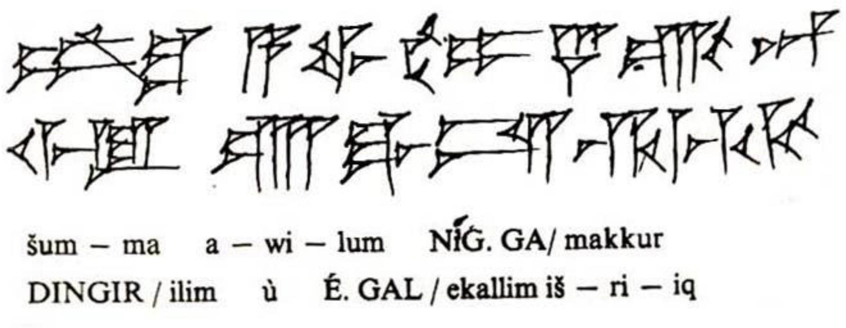

šum – ma a – wi – lum NÍG. GA/ makkur
DINGIR / ilim ù É. GAL / ekallim iš – ri – iq

شُمْ – مَ اَ – وِ – لُم مَكُّر اِلِم أُ$_{٣}$
اِكَلِّم اِش – رِ – اِ ق

ومعنى النص :

(اذا سرق الرجل حاجة للاله او القصر ...)

ومما يلاحظ ان الكاتب قد كتب بعض الكلمات بالطريقة الرمزية ، وهي الكلمات التي نقلنا قراءتها السومرية بالحروف الكبير capital letters ووضعنا الى جانب ذلك القراءة الاكدية ، في حين كتب الكلمات الاخرى وفق طريقة الصوتية . اما كيف كان يقرأ الكاتب الكلمات التي دونت بالطريقة الرمزية وهل انه كان يقرأها بالسومرية (NIG. GA, DINGIR, E GAL) ام انه كان يقرأ ما يقابلها بالاكدية ؟ يبدو من الامثلة الكثيرة التي وردت في النصوص انه كان يقرأها بالاكدية إذ غالبا ما كان يضع النهايات الصوتية بعد العلامات المستخدمة وفق الطريقة السومرية ، وهي نهايات خاصة بكلمات اكدية وعلى النحو الاتي :

إذا كتب الكاتب العلامة الرمزية 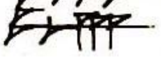 التي تقرأ ، كما لا حظنا بالسومرية لُ$_{٢}$ = lu وبالاكدية اويلم = awilum واراد ان يبين للقارئ ان العلامة الرمزية يجب ان تقرأ بالاكدية وفي حالة الرفع ، عندها يضع المقطع أُم um @ن 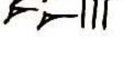 العلامة الرمزية مباشرة نهاية صوتية للدلالة على اسلوب لفظها .

وبمرور الوقت تزايد استخدام الطريقة الصوتية في الكتابة وتقلص استخدام العلامات الرمزية الا في العلامات التي تدل على اشياء مادية ، أي حسب الطريقة الصورية .

٣- كانت العلامات المسمارية التي استخدمت لتدوين اللغة السومرية تمثل مقاطع صوتية محددة بالاصوات الموجودة في اللغة السومرية فقط ولم تكن تمثل جميع الاصوات الموجودة في اللغة الاكدية كالاصوات الحلقية والمفخمة مما اضطر الكتبة الاوائل ان يسلكوا طرقا لتجاوز هذه النقص في التعبير عن الاصوات الحلقية والمفخمة التي تزخر بها اللغة الاكدية وعلى النحو الاتي :

أ. استخدموا المقاطع الصوتية التي تضم اصواتا مخففة لتدوين الاصوات الاكدية المفخمة ايضا مثل استخدام المقطع الذي يضم صوت س = s المخفف لتدوين المقطع الاكدي الذي يضم صوت س وصوت ص = s وصوت ز z ، والمقطع الذي يضم الصوت د d او ت t ، اصبح يستخدم لتدوين الصوت ط t كذلك ، والمقطع الذي يستخدم لتدوين صوت ك = k ، اصبح يستخدم لتدوين الصوت الاكدي ق = q وهكذا وكما في الامثلة الاتية :

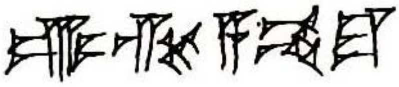

u – zi - / si – a – am – ma أُ – زِ / صِـ – اَ – اَمـ – مَ

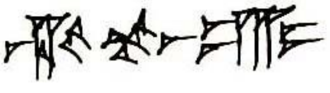

ik/iq-bu-u اِكـ / قـ – جُـ– أُ (٢)

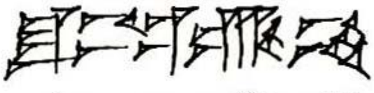

šu – ur – ga/qa – am شُ – أُر – جَ / قَ(٢) – اَم

ب. بما ان صوت العين والحاء والهمزة ، وهي اصوات لا توجد في اللغة السومرية ومن ثم فقد خلت الكتابة المسمارية من العلامات التي تعبر عن هذه الاصوات ، لذا اضطر الكتبة عند تدوين اللغة الاكدية التعبير عن هذه الاصوات الحلقية بعلامات تضم اصواتا قريبة من حيث النطق من الحرف الحلقي الاكدي ، فمثلا عبروا عن صوت الحاء (ح) او العين (ع) باحد حروف العلة بـ e او يـ I ، او الحركة القصيرة المماثلة لهذين الحرفين (ا e و اِ I) ، اما صوت الهمزة الاكدي فقد خصصوا له علامة مسمارية مستقلة على النحو الموضح في الامثلة الاتية المقتبسة من قانون حمورابي :

المقابل العربي	اللفظ	جذور الكلمة	الصيغة الاكدية كما وردت في قانون حمورابي
حدث	حدث	ح د ش	Edisu
عشرة	عشرة	ع ش ر	Esru
حقل	حقل	ح ق ل	Eqlu
حمار	امير	ح م ر	Imeru
على	الو	ع ل ي	Elu
عين	اين	ع ي ن	Inu
نهر	نار	ن هـ ر	Narn

ويمكن ان نقارن هذا الاسلوب في الكتابة أي الاستعاضة عن الاصوات الحلقية بحروف علة قريبة الشبه منها من حيث النطق بما نفعله في الوقت الحاضر إذا رغبنا كتابة بعض الاسماء والجمل العربية بالخط اللاتيني الذي يخلو هو الاخر من الرموز التي تعبر عن الاصوات الحلقية مثل خلو الخط المسماري منها على النحو الموضح في الامثلة الاتية :

احمد	Ahmad
محمد	Muhammad
عبد الرحمن	Abdul Rahaman
عراق	Iraq
العرب	Al-Arab

وكما يلاحظ اننا استعضنا عن صوت الحاء والعين بحرف العلة a او i .

وكان من نتائج هذا الاسلوب في الكتابة ان بطل استخدام عدد من الحروف الحلقية من اللغة الاكدية كليا بصيغتها المدونة في اقل تقدير ولانعرف فيما اذا سقطت هذه الاصوات من اللغة الاكدية كليا ولم تعد تنطق عند الكلام ام ان ذلك ظهر في الكتابة فقط. ويبدو لنا ان اللغة المحكية ظلت تحتفظ باسلوب نطقها القديم إذ ان الكتابة لم تكن منتشرة انتشارا واسعا بين عامة الناس ليؤثر اسلوبها في اسلوب نطق اصواتها الحلقية والمفخمة .

٤- خصص الكتبة علامات مسمارية معينة كانت موجودة في الكتابة المسمارية اصلا لتدوين مقاطع اكدية معينة ، او انهم ابتكروا علامات جديدة لتدوين الاصوات الاكدية التي لا توجد علامات مسمارية تعبر عنها نحو :

للتعبير عن الحرف الحلقي ق ق = qa = 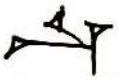

للتعبير عن الهمزة ء =ُ = ِ 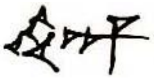

وكما في الامثلة الاتية :

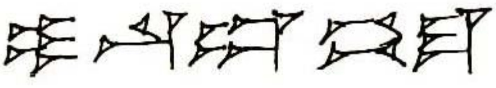

اِ – قَ – اَب – بِـ– مَ = I – qa – ab – bi – ma

بمعنى (سيقول)

٥- اضاف الكتبة قيما صوتية جديدة للعلامات الرمزية التي كانت تلفظ بالسومرية وهذه القيم الصوتية الجديدة تمثل اسلوب لفظ العلامة الرمزية باللغة الاكدية ، وبذلك زاد عدد قيم العلامة الرمزية الصوتية وكما في الامثلة الاتية :

العلامة الرمزية السومرية ا ٢ = e 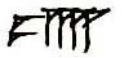@ ، والتي تعني بيت ، غدت تقرأ بالاكدية بيتُم (m) bitu بمعنى بيت ايضا وغدت تستخدم للتعبير عن المقاطع الصوتية المشتقة من قراءتها الاكدية فاستخدمت كمقطع صوتي للمقاطع :

بِط bit و بِت bit

بِت biti و بِد bid

بِد pid ز بِت pit

وبذلك اصبح العلامة المسمارية التي تقرأ e بالسومرية وتعني بيت ، قيم صوتية جديدة بعد ان استخدمت لتدوين اللغة الاكدية ، وهي القيم التي ذكرناها انفا الى جانب استخدامها علامة رمزية للدلالة على الاسم (بيت) ، بالاكدية (بيتُ) bitu . وينطبق ذلك على الكثير من العلامات المسمارية التي كانت تستخدم منذ العصور السومرية المبكرة وظلت تستخدم عند تدوين اللغة الاكدية الا انها اكتسبت قيما صوتية ومعاني رمزية جديدة مثل العلامات :

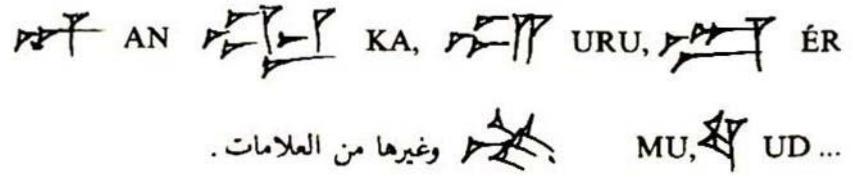

وغيرها من العلامات .

@شكل@

وبذلك زادت القيم الصوتية للعلامات وزاد معها تعقيد الكتابة المسمارية وصعوبة حفظها وتعلمها .

٦- رغبة في استحداث مقاطع صوتية جديدة للعلامات المسمارية بهدف تدوين اللغة الاكدية ، استخدام الكتبة العلامات المسمارية القديمة للدلالة على مقاطع صوتية جديدة نحو :

العلامة المسمارية 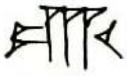 كان لها قيمة صوتية هي لخُ luh وغدت تستخدم للدلالة على المقاطع الصوتية القريبة من هذا المقطع باستثناء الحركة نحو : لِخ lih ولَخ lah والعلامة المسمارية **@شكل** 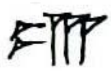 تستخدم للدلالة على المقطع الصوتي سَخ sah وغدت تستخدم للدلالة ايضا على المقطع الصوتي سُخ suh وسِخ sih وهكذا .

وبهذه الاساليب تمكن الكتبة من تدوين اللغة الاكدية بالكتابة المسمارية التي كان قد ابتدعها السومريون بما يتلاءم ولغتهم السومرية وهكذا اصبح للعلامة المسمارية الواحدة فضلا عن معانيها الصورية والرمزية التي كانت تمثلها في الاصل ، عددا من القيم الصورية استخدمت للتعبير عن اللغة السومرية عند تدوينها اولا ومن ثم زاد عدد هذه القيم الصوتية عندما استخدمت لتدوين اللغة الاكدية كما حملت معاني جديدة اضافها الكتبة وقد زاد عدد معاني العلامة المسمارية الواحدة عن عشر معان كما زادت قيمها الصوتية اكثر من ذلك ولعل خير مثال لذلك العلامة التي استخدمت اصلا للدلالة على شروق والاسماء ذات العلاقة بالشمس كما استخدمت مقطعا صوتيا لاكثر من عشرين مقطعا وكما في الجدول الاتي :

يوم	Umu	ud/ut/ut
متى	Enuma	U_4
ابيض	Pesu	tam/tam/dam
الاله الشمس	d.Samas	ta_5
شمس	Samsu	sa_6
متى	Summa	ud

		pir/bir
		par
		lah/lih
		his
		um
		hud/hut/hut

وبذلك تضاعف عدد المقاطع الصوتية المستخدمة في التدوين وعدد المعاني التي تعبر عنها العلامات وزاد نتيجة ذلك من صعوبة تعلم الكتابة المسمارية حتى بالنسبة للقدماء من الكتبة ومن صعوبة قراءتها إذ ان الكتبة لم يتقيدوا باسلوب محدد في الكتابة فقد يستخدمون العلامة لقيمتها الصوتية او معناها الرمزي ثم يعود الكاتب في النص نفسه لاستخدام العلامة استخداما مغايرا وهكذا وكان ذلك يعتمد على رغبة الكاتب وميله الى اسلوب معين في الكتابة دون غيره ، ولتيسير مهمة قراءة النصوص المسمارية المعقدة فقد عمد الكتبة الى استخدام وسائل للايضاح والارشاد كان منها العلامات الدالة والنهايات الصوتية (٢٩).

العلامات الدالّة Determinatives

وهي علامات توضع غالبا قبل العلامات المسمارية التي تدل على الاسماء واحيانا بعدها لتحدد صنف او ماهية الاسم الذي تعود له والمعنى المقصود منه ، ان كان للعلامة او العلامات المسمارية التي تمثله اكثر من معنى واحد . فالعلامة التي تدل على الخشب ، (وهي العلامة @**ش** 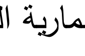كانت تقرأ بالسومرية GIS وبالاكدية إِصُ isu وتعني شجرة) اذا وضعت امام اية علامة مسمارية او مجموعة علامات عرف ان تلك العلامة او العلامات تدل على اسم شيء مصنوع من الخشب . فاذا رسمت العلامة PIN @**شكل** ، وهي 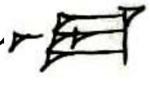عان عدة منها محراث APIN وبالاكدية ابنُ epennu والفعل الاكدي اريشُ eresu بمعنى حرث والاسم المؤنث اريشت erestu بمعنى حراثة والاسم اريش eresu بمعنى حارث ، ووضع امامها العلامة الدالة @**ش** GIS=isu ، فهم القار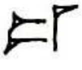لمقصود من كتابة العلامة @**شكل**@ هو 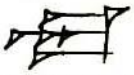

---

(٢٩) عامر سليمان : الكتابه المسمارية ، ص ٦٣ .

الاسم (محراث) لانه مصنوع من الخشب ، اما اذا وضع امامها العلامة الدالة التي تدل على الاشخاص وهي لُ(٢) lu فان ذلك يعني ان المقصود من هذه العلامة هو الحارث وليس المحراث وما يقال عن العلامة الدالة الخاصة بالاشياء المصنوعة من الخشب ينطبق على العلامة الخاصة بالطيور خَ HA التي اذا وضعت بعد علامة مسمارية او مجموعة علامات مسمارية عرف القارئ ان ما يسبقها من علامات يمثل اسم طير من الطيور وهكذا بالنسبة لاسماء المدن والبلدان والانهار والاشخاص والقبائل والاسماك والنباتات وغيرها وكما في الجدول الاتي :

تشير النصوص المسمارية الى ان العلامات بدأت تستخدم منذ اواسط الالف الثالث قبل الميلاد الا ان استخدامها كان مقصورا على عدد محدود من العلامات فقط في اثناء المدة السابقة للعصر الاكدي ، وزاد استخدامها منذ العصر الاكدي فصاعدا كما زاد عددها ويظن ان هذه العلامات كانت تكتب فقط ولا تقرأ لما كانت الغاية منها توجيه القارئ الى المعنى المقصود من العلامات فحسب .

وعند تدوين اللغتين السومرية والاكدية بالحرف اللاتيني او العربي عمد الباحثون الى كتابة مختصر لفظ العلامة الدالة ووضعت غالبا بين قوسين وطبعت فوق مستوى الكتابة الاعتيادية لبيان حقيقة ان هذه العلامات كانت تكتب ولا تقرأ وكما في المثال الاتي :

sar$^{(kur)}$ Assur$^{(ki)}$ mi – gir ilani$^{(mes)}$ rabuti$^{(mes)}$

شَر(كُر) اشور(كِ) مَ – جِر اِلانِ(مش) رَبوتِ(مش)

بمعنى (ملك (بلاد) اشور ... المفضل (عند) الالهة العظيمة) .

ويلاحظ ان العلامات كُر = kur وكِ ki و مش mes التي تعني بلاد وارض واداة جمع على التوالي ، وقد نقلت بالحرف اللاتيني ووضعت بين اقواس هلالية وكتبت فوق مستوى الكتابة الاعتيادية وفيما يأتي قائمة باهم العلامات الدالة المستخدمة في النصوص المسمارية المكتشفة ، مع معانيها الرمزية وقيمتها الصوتية اسلوب كتابتها بالحرفين العربي واللاتيني في البحوث والدراسات الحديثة الخاصة بنقل النصوص المسمارية وترجمتها على اختلافها (٣٠) .

العلامات الدالة

اولا : العلامات التي ترد قبل الاسماء

---

(٣٠) عامر سليمان : المصدر السابق ، ص ٦٤ .

العلامات الدالّة

أولاً: العلامات التي ترد قبل الاسماء

الملاحظات	القراءة الأكدية	القراءة السومرية	العلامة
اسماء المعبودات	إلُ ilu (il)	dingir (d.)	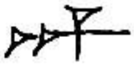
اسماء المدن والاماكن	اَلُ alu (al)	uru (ur.)	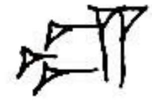
اسماء الاشهر	اَرخُ arḫu	iti (it.)	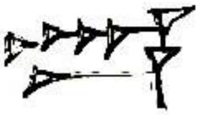
الاشياء المصنوعة من الجلد	مَشكُ mašku	kuš	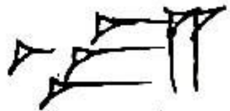
الاشياء المصنوعة من القصب	قَنوْ qanû	gi	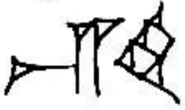
اسماء الكواكب والنجوم	كَكَّبُ ka'kabu	mul	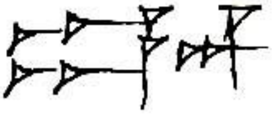
انواع الحمير	إمِيرُ imêru	anše	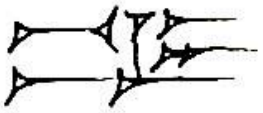
انواع الاحجار	اَبنُ abnu	na_4	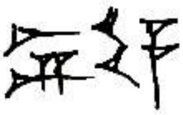
اسماء الاشجار والاشياء الخشبية	إصُ iṣu	giš	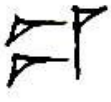
الأوعية والاواني	كَرپَتُ karpatu	dug	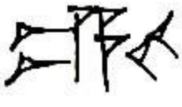
اسماء النباتات والأعشاب	شَمُّ šammu	ú	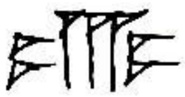
اسماء القبائل والمهن	اَوِيلُ awilu	lú	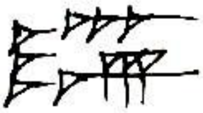

الملاحظات	القراءة الأكدية	القراءة السومرية	العلامة
اسماء البلدان والجبال	ماتُ matu	kur	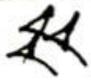
اسماء الذكور من الاشخاص		diš	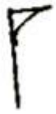
اسماء الملابس والاقمشة	صُباتُ ṣubātu	túg	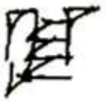
انواع الاغنام والماعز	اِمّيرُ immēru	udu	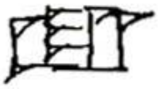
انواع الصوف والاشياء المصنوعة من الصوف	شِپاتُ šipātu	sig	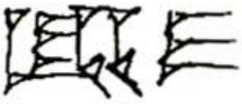
اسماء الانهار	نارُ nāru	íd	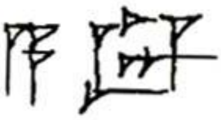
اسماء الاناث من الاشخاص	سِنّشتُ sinništu	sal/mí	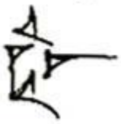

الملاحظات	القراءة الأكدية	القراءة السومرية	العلامة
بعد الارقام الترتيبية		kam / kám	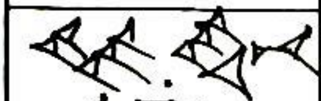
بعد اسماء جمع الاشياء والحيوانات		ḫá	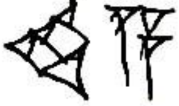
بعد اسماء المدن والاماكن	إرصِتُ erṣitu	ki	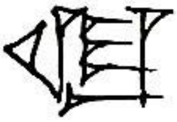
اداة جمع الاشخاص		meš	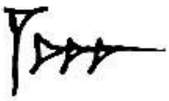
بعد اسماء انواع الاسماك	نونُ nunu	ku_6	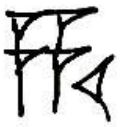
بعد اسماء الطيور	إصُّرُ iṣṣuru	mušen	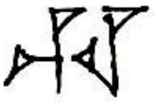

النهايات الصوتية Phonetic Complements

وهي علامات تمثل مقاطع صوتية كانت تكتب بعد العلامات الرمزية من معنى واحد او قراءة واحدة تهدف الى تحديد المعنى او القراءة المقصود من العلامات الرمزية وذلك بكتابة علامة اضافة بعدها تشير الى المقطع الصوتي الاخير من المعنى أو القراءة المطلوبة فمثلا اذا اراد الكاتب ان يعبر عن الكلمة سماء ، وهي بالاكدية شيم Simu فان العلامة المسمارية المستخدمة عادة للدلالة على السماء كانت @**شكل**ِ 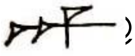 علامة لها معان وقراءات عدة منها : اِلُ ilu يمعنى اله وبالسومرية DINGIR بمعنى اله ايضا وقد تعني العلامة الاله آنو اذا جاءت متفردة وتقرأ بالسومرية AN. فاذا كتب الكاتب بعد هذه العلامة العلامة التي تلفظ م mu وهو المتمثل بالعلامة المسمارية مُ @**شكل** ، اصبح ر 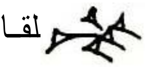 لقارئ ان المقصود من @**شكل** هو ذ 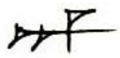 نتهي بالمقطع مُ mu أي شيمُ simu وليس AN او ilu او غيرها من القراءات والمعاني التي قد تعنيها العلامة .

واستخدمت النهايات الصوتية على نطاق واسع لبيان حالة الاسم الاعرابية ، فغالبا ما تكتب الاسماء بالاسلوب الرمزي والعلامة الرمزية لا تعبر عن حركة الاسم الاعرابية اهي الفتحة ام الكسرة ام الضمة فاذا وضع الكاتب بعد العلامة الرمزية المقطع الصوتي الذي يشير الى حركة الاعراب مع التمييم او بدونه عرف القارئ موقع الكلمة من الاعراب وهكذا نجد ان اكثر العلامات الرمزية المستخدمة للدلالة على الاسماء يعقبها احد المقاطع الثلاثة الرئيسة التي تدل على حركة الاعراب والتمييم وهي امُ um وأَم am واِم im .

وكما هي الحالة بالنسبة للعلامات الدالة ، يظن ان النهايات الصوتية كانت تكتب للارشاد فقط إذ ان العلامة الرمزية كانت تقرأ كاملة مع حركة الاعراب ، كما تشير اليها النهاية الصوتية (٣١) .

---

(٣١) المصدر السابق ، ص ٦٨ .

- دوافع تعلم مهنة الكتابة :

قبل التحدث عن عملية اعداد الكاتب وتنشئته ، لابد من الوقوف على الدوافع التي كانت تتوخاها فئة الكتبة وتنشدها من تعلم مهنة الكتابة في مجتمع بلاد الرافدين ، ويمكن ان نلمس ذلك بشكل واضح مما ورد في النصوص المسمارية التي زودتنا بمادة غنية من الاقوال والامثال التي تحث على احتراف هذه المهنة المهمة وترغّب بها لما لها من اهمية كبيرة في حياة المجتمع آنذاك ، فقد كان من مسؤوليات بعض الاسر ، ولاسيما الاسر الموسرة ، توجيه اولادها لينالوا قسطا من التعليم والتثقيف لكي يشغلوا بعدئذ المناصب والوظائف الادارية(٣٢) ومن ذلك ما ورد في نص توصية احد الادباء لمعلم ابنه في معرض رسالته اليه ومما جاء فيها :

ana bit tuppim alakam su hissu qassu hitma u satam ina mihhisu sukun .

"الى بيت الالواح ، ارشده (ولدي) كي يذهب الى المدرسة ، راقب يده (كتابته) وساعده"(٣٣) .

كما وردت في عدد من النصوص الاخرى امثال في مدح فن الكتابة وما يفضي الى من يتعلمه ، نقتبس بعضا مما يأتي :

(الكتابة فن بهيج لا تشبع منه النفس) ، (ليس من السهل تعلم الكتابة ، ولكن من تعلم الكتابة لا يقلق ابدا)

جاهد في (ضبط) الكتابة وستغنيك) ، (كن مجدّا في الكتابة توفر لك الغنى والرفاهية)

(لا تتقاعس في الكتابة ، لا تكن كسولا) (ان الكتابة بيت الغنى ، وسر الهة الانوناكي) (اعمل دون توقف في الكتابة وستكشف لك عن الاسرار) (اذا اهملت الكتابة سيشار اليك بالسخرية) (الكتابة حظ سعيد فيه الغنى والرفاهية) (منذ طفولتك ، لا قيت في تعلمها الامرّين . وفي الكبر جلبت لك الخير والرخاء) (الكتابة قيد جميع المعارف) . (٣٤)

ويقول مثل اخر : "فن الكتابة الذي يُتلقى (منه) اجرا طيبا هو حارس ذو عين براقة وهو حاجة القصر"(٣٥) .

---

(٣٢) حمود ، حسين ظاهر : مكانة الأولاد في المجتمع العراقي القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، ١٩٩١ ، ص١٠٠ .

(٣٣) الراوي ، فاروق : المدرسة في العراق القديم ، بحث غير منشور مقدم الى جامعة بغداد ، ١٩٨٩ ، ص١٢ .

(٣٤) وردنا هذا النص (ثنائي اللغة – بالسومرية والاكدية) من العصر الاشوري الحديث من مكتبة اشور بانيبال في نينوى ، حول هذا النص ينظر :
Sjoberg, A. W, “In praise of the Scribal Art” , JCS , 24/1972 , P.127-131 .

(٣٥) لوكاس ، المصدر السابق ، صفحة ٣٨ .

كما اشير بهذا الخصوص في احد النصوص عن سيرة احد الكتبة ويدعى (ياسِتنا–ابم) وهو كاتب لرسالة من تل الرماح (حوالي ١٧٥٠ ق.م) طلب منه اتقان فن الكتابة "تعلم فن الكتّاب ! سوف اجعلك في بيت النبلاء" وعلى الرغم من أن ياسِتنا– ابُم *yasitna-abum* ، تخلى عن الطعام والشراب من اجل اتقان فنون الكتابة جميعها ، الا انه لم يحقق الا نجاحا قليلا ولم يحصل على وظيفة مرموقة وكما ورد على لسانه في النص : "لاني لااملك شيئا ، لااستطيع ان اخدم في القصر"(٣٦) .

ومما يشير الى عدم اجادته الكاملة للعلامات المسمارية ومعرفة فنون الكتابة الدقيقة ، ويتبين من هذا النص ان الكتبة المرموقين كانوا يخدمون في البلاطات الملكية .

مما تقدم يمكن القول ان المستقبل الذي كان ينتظر المتعلمين لفن الكتابة مغريا ، اذ كانت القصور تحتضن المتميزين منهم ، لاشغال المناصب المهمة والمرموقة فيها ، فضلا عن انهم كانوا يحظون بمكانة متميزة ورفيعة في المجتمع .

كما يبدو انهم كانوا يعفون من بعض التكاليف والواجبات الشاقة التي كان يكلف بها غيرهم ، علاوة على تحسين مستواهم الاقتصادي ، هذا ما يخص الجانب الشخصي ، اما ما كانت تنشده (المعابد والمدارس) فانها هي الاخرى كانت تسعى لتهيئة واعداد وتوفير اجيال من الكتبة لرفدهم في كافة قنوات الحياة اليومية والمعاشية وسد حاجات القصور والمعابد والجيش والمحاكم وغيرها منهم والافادة من مهاراتهم الكتابية .

اذ ان "تعلم شتى انواع العلوم والفنون والاداب هو تعلم مأأسماه السومريون انفسهم بـ –فن الكتابة– والذي كان يعد بالنسبة لهم اسمى درجات الوعي الثقافي ويعبر عنه المثل السومري القائل : (ان فن الكتابة هو ام للخطباء واب للاساتذة)" (٣٧) .

– فرص تعلم مهنة الكتابة :

يكاد يكون هناك اتفاق تام بين الباحثين على ان التعليم ومعرفة فنون الكتابة في بلاد الرافدين كان حكرا على طبقة الامراء والاغنياء والمتنفذين في المجتمع وابناء الكتبة ، وانه لم يكن متاحا لبقية فئات المجتمع الاخرى من الفقراء والعبيد الا نادرا .

---

(36) Sasson , op . cit , P. 2266 .

(٣٧) الزيباري ، اكرم : المدارس والتعليم في العراق القديم ، مجلة بين النهرين ، العدد ٦٨ ، ١٩٨٩ ، ص٤ .

وقد استند هؤلاء الباحثين في رأيهم هذا على ما ذكر في النصوص المسمارية من ان التعليم كان يستغرق فترة زمنية طويلة وحسب ما ورد في نص ما حرفيا (انها (الكتابة) كانت تبدأ من الطفولة الى الرجولة) (٣٨) .

فقد كان على التلميذ ان يقضي معظم يومه في المدرسة دون ان يقدم أي مردود مادي يساعد فيه ذويه(٣٩) .

وهكذا فان المشكلة كانت تكمن في صعوبة توفير المال والوقت من قبل الفقراء واللذين تتطلبهما الدراسة الطويلة الامد(٤٠) .

ويدعم هذا الرأي احد الباحثين المتخصصين(*) الذي شخص من بين الاف الوثائق الاقتصادية والادارية المنشورة التي يرجع تاريخها الى نحو ٢٠٠٠ ق.م ، حوالي خمسمائة شخص ذكرت أسماؤهم في النصوص المسمارية بأنهم كتبة وذكر فيها ان اباءهم كانوا من الطبقة العليا اذ كان منهم الحكام والسفراء والموظفون في القصر ومن طبقات الكهنة المختلفة ورؤساء العمال ومن الكتبة الموكلون بادارة دور السجلات ومن المحاسبين والمشرفين على ادارة المعابد وضباط الجيش وموظفو الضرائب والكتبة ولم يرد ذكر أي شخص من طبقة الفقراء(٤١) .

بينما يرى البعض الاخر من الباحثين انه كان للعامل الاقتصادي اثره في الاقبال على التعليم كما كان للعامل السياسي اثره الاخر في هذا التوجه(٤٢) .

فقد اشارت النصوص المسمارية الى تفاخر الملوك في بلاد الرافدين الى قيامهم بتأسيس المدارس كشولجي(*) وشوسن ، اذ افتخر الملك شولجي عن تأسيسه لمدرستين احداهما في نفرّ

---

(٣٨) حول هذا النص ينظر الى :
Gadd, Teachers and Students In Oldest Schools , London , 1956 , P.17 .

(٣٩) سليمان : اللغة الاكدية ، ص١٦٥ .

(٤٠) كريمر ، صموئيل نوح : السومريون ، ترجمة فيصل الوائلي ، الكويت ، ١٩٧٣ ، ص٣٣١ .

(*) هو عالم المسماريات (نيكولاس شنايدر) من لكسمبورغ .

(٤١) نقلا عن : كريمر ، صموئيل نوح : من الواح سومر ، (شيكاغو ١٩٥٦) ، ترجمة طه باقر ، (بغداد ، ١٩٥٨) ، ص٤٦ .

(42) Pollok, Susan , Ancient Mesopotamia , Cambridge, 1999 , P.154 .

(*) (شولجي SULGI) ٢٠٩٤-٢٠٤٧ ق.م هو الملك الثاني من سلالة اور الثالثة تلقب بلقب ملك الجهات الاربع اتقن فن الكتابة والادب والموسيقى ووحد التقويم في انحاء الامبراطورية كما عمل على توحيد الاوزان

والاخرى في أور . كما قام حاكم الوركاء (سن – كاشد) حدود (١٨٦٥–١٨٣٣ ق.م) بتأسيس مدرسة في قصره في مدينة الوركاء وأمر الملك (شو – سن SU.SIN) (٢٠٣٧–٢٠٣٩ ق.م) بتأسيس مدرسة اخرى في مدينة اور(٤٣) .

كذلك بثّ الملك آشور بانيبال رسله وكتّابه ونسّاخه الى كافة الاقاليم والمقاطعات والمدن في بلاد الرافدين ليبحثوا له عن كل ما هو مفيد من الرقم الطينية والالواح التي تحوي مختلف صنوف العلم والمعرفة لوضعها في مكتبته(٤٤) .

ان الادلة المقدمة تفصح عن اهتمام هؤلاء الملوك وتشجيعهم على التعليم ، ولكن مع هذا لنا ان نتسائل : هل اقتصر تعليم مهنة الكتابة حقا على اطفال الاثرياء والمتنفذين في الدولة آنذاك وانها كانت امتيازا لهم دون غيرهم ، وهل كانت ساحة التعليم خالية فعلا من الفقراء ؟ ربما اعطى احد الباحثين احتمالية ضئيلة وقليلة لوجود ابناء تلك الطبقة الفقيرة في مجال التعليم حين قال "ولعل صبيا فقيرا او يتيما يحالفه الحظ فيرسل الى المدرسة اذا ما تبناه احد الاثرياء"(٤٥) .

وهكذا ربما كان بامكان عدد من ابناء الفقراء والعبيد والمتبنين ان ينخرطوا في سلك التعليم بين التلاميذ الاغنياء الذين كانوا يشكلون السواد الاعظم من المتعلمين ، وفيما يأتي عدد من النصوص التي تبين ذلك :

١. ففي ترنيمة لشولجي يفتخر فيها ويتحدث عن ايام دراسته نقتطف منها ماله صلة بالموضوع يذكر فيها : "…. من يريد ان يصبح كاتبا او عالما يبدأ حياته بالذهاب الى المدرسة وان كان من نسب بسيط فسوف يدرس سوية مع ابناء الامراء ويرتفع الى مراتبهم"(٤٦) .

ان تلميح شولجي عمّن وصفهم بذوي النسب البسيط هو تأكيد على وجود ابناء الطبقة الاجتماعية الفقيرة في حقل التعليم هذا فضلا عن وجود ما يصطلح عليه في التربية والتعليم بـ

والمكاييل (الاصيل ، ناجي ، وسفر ، فؤاد : تمثال دودو الكاتب السومري مجلة سومر ، ج٢ ، مج٥ ، بغداد ، ١٩٤٩ ، ص٣٢٢) .

(٤٣) الجادر ، وفاضل : دور العلم ، المصدر السابق ، ص٨٦ .

(٤٤) للمزيد عن اعمال الملك اشور بانيبال الحضارية ، ينظر : الدوري ، رياض عبد الرحمن : اشور بانيبال – سيرته ومنجزاته ، بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، ٢٠٠١ .

(٤٥) ساكز ، هاري : الحياة اليومية في العراق القديم (بلاد بابل وآشور) ، ترجمة : كاظم سعد الدين ، بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، ٢٠٠٠ ، ص٨٣ .

(46) Castellino , G.R : “Two Sulgi Hymns, Universita DI Roma 1972, P. 13” .

(تكافؤ الفرص التعليمية) او زوال الفوارق الاجتماعية في التعليم ، اذ يتنبأ شولجي لأبن الفقير الذي سيدخل المدرسة بمستقبل زاهر ، وانه سيصبح يوما في مصاف ابناء الامراء ومراتبهم .

٢. ونقرأ في نص اخر وهو النص المعروف باسم (الكاتب وابنه الضال) هذه المقاطع التالية : "لم اجعلك قط في حياتي تحمل حزم القصب ولم تحمل في حياتك حزم البردي التي يحملها الصبيان ، لم ارسلك قط في حراثة حقلي ولم اقل لك في حياتي "اذهب واعمل لتعينني""(٤٧) .

اذ يمكن ان نستشف من كلمات الزجر هذه الموجهة من الاب لابنه على تضحية الاب وتحمله مشقة العمل بدلا عن ابنه بالرغم من كونه كاتبا فقيرا ، ومع ذلك وفرّ لابنه فرصة الانخراط في التعليم وكفاه مؤونة ومشقة العمل الصعب في حقله .

٣. كما وردتنا رسالة من العصر البابلي القديم موجهة من تلميذ يدعى (سن – إدن *sin- addin*) والذي كان يتابع دراسته بعيدا عن بيته يسأل فيها امه (زين *zinu*) ان ترسل له ثياب لائقة بدلا من ثيابه الرثة البالية . "قل لزين هكذا يقول –سن إدن– عسى ان يصونكِ وتمجدك الالهة شمش ومردُك والايرات ، ان ثياب من معي من زملائي الاخرين في تحسن سنة بعد اخرى في حين جعلت انتِ ثيابي تبدو اكثر بساطة وتواضع عاما بعد عام . ولعلك وفرت شيئا من المال لارسالك ثيابا بسيطة وقليلة بالرغم من علمي ان الصوف متوفر في بيتنا مثلما يتوفر الخبز . حقا لقد جعلتِ ثيابي رديئة ، على سبيل المثال ابن (ادد – ادنّم *adad addinam*) الذي كان ابوه عبدا مملوكا لأبي فأنه استلم لتوّه ثوبين جديدين – اما انتِ فلا تكترثين الا بارسال ثوب واحد فقط ، على الرغم من ان امه لم تلده وجاءت به الى هذا العالم وانما قد تبنته ، فان الطريقة التي تحبه امه بها تجعلني اعتقد انك لا تحبيني على الاطلاق"(٤٨) .

وبذلك يتبين من هذه الرسالة مسألتان : الاولى هو تردي وضع الام المادي وامكانياتها المحدودة نوعا ما بحيث لا يساعد ذلك الى امداد ولدها بمستلزمات الدراسة ، اما المسألة الثانية فهي الاشارة الى التلميذ الذي كان والده عبدا وتبنته امرأة وهي ملاحظة جديرة بالانتباه اذ تفصح عن امكانية تبني ابناء العبيد وانخراطهم من ثمّ في التعليم اسوة بابناء النبلاء .

٤. كما يمكن الاشارة بهذا الصدد الى نص(*) يرد فيه احد التلاميذ بتعلم فن الكتابة "تعلم فن الكتّاب ! سوف ادخلك في بيت النبلاء"(٤٩) .

---

(٤٧) رشيد ، فوزي : العراق اول من مارس مهنة التعليم ، مجلة دراسات الاجيال ، مج ٥ ، ع (١-٤) ، ص٧٦ .

(٤٨) علي ، فاضل عبد الواحد : سومر اسطورة وملحمة ، بغداد ١٩٩٧ ، ص٢٨٠-٢٨١ .

(*) تقدمت الاشارة اليه في المبحث السابق .

(49) Sasson , op, cit, p. 2266 .

وبذلك يمكن ان يفهم تحديدا من عبارة (سوف ادخلك بيت النبلاء) ان الطالب لم يكن من طبقة النبلاء بل ربما كان ينتمي الى طبقة العبيد (وَردُم *wardum*) او الى فئة (مشكينُم *muskenum*) غير المتمكنة اقتصاديا بدلالة ماسستدركه لاحقا من تخليه عن الطعام والشراب لعدم امتلاكه شيئا وهو ما كان يعينه على اسباب المعيشة وتدفعه الى الدراسة والتفوق فيها لانه بالمحصلة لم يتمكن من تحقيق هدفه في الحصول على وظيفة في القصر التي تشترط اجادته لفن الكتابة واتقانها .

ووفقا لما سبق فقد تبين من خلال قراءة هذه النصوص الاربعة وجود بعض التلاميذ من ابناء الفقراء على مقاعد الدراسة وانخراطهم في سلك التعليم انذاك وان كان ذلك بنسبة ضئيلة جدا .

- نشأة وتعليم الكاتب :

تردنا اشارات مهمة في النصوص المسمارية عن تعليم الكتبة واعدادهم منذ الالف الثالث ق.م لفنون الكتابة ومبادئها ومعارفها(٥٠) .

اذ يفهم من النصوص المسمارية عن وجود نظام مرتب لتدريب كتبة المستقبل وادامة البنى الادارية وديمومتها في المؤسسات ولا سيما الدينية منها من خلال النقل المنظم للعلوم والخبرات الكتابية باستمرار(٥١) .

ومن خلال دراسة النصوص المسمارية المدرسية المكتشفة في مختلف المواقع الاثرية ذات العلاقة بالتعليم تبين ان نظام التعليم مر في تاريخ بلاد الرافدين بثلاث حقب رئيسة يمكن حصرها كالاتي :

١. الحقبة الاولى : تنحصر في الالف الثالث ق.م تمثلها نصوص عصور فجر السلالات (٢٨٠٠-٢٤٠٠ ق.م) والعصر الاكدي (٢٣٧١-٢٢٣٠ ق. م) وعصر سلالة اور الثالثة (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م) والتي عثر عليها في مواقع كيش ونفر وابو الصلابيخ ولجش وسبار وماري وشروباك .
٢. الحقبة الثانية : وهي اغزر المراحل من حيث عدد النصوص المكتشفة وتتمثل بنصوص العصر البابلي القديم في حدود (٢٠٠٠-١٦٠٠ ق.م) وتمثلها المراكز الحضارية في سبار ونيبور وأوروك (الوركاء) وتل حرمل (شادّبم) وتل حداد (ميتوران) .
٣. الحقبة الثالثة : وتمثلها النصوص التي يرقى تاريخها الى ما بعد العصر البابلي القديم أي في العصر البابلي الوسيط والعصر الآشوري الوسيط والعصور الاشورية التالية(٥٢) .

---

(50) ALANE, P. 105 .

(51) ALANE, P. 105 .

وقبل ان نعرض الى اسلوب تعليم الكاتب واعداده ينبغي في البداية ان نقدم عرضا للمؤسسات التعليمية والمدارس والتي "كان نشوءها نتيجة مباشرة وحتمية لابتكار الكتابة وتطورها والذي يعد بدوره ابرز مساهمة حضارية اغنت بها بلاد الرافدين الحضارة البشرية"(٥٣) .

فقد كانت المدارس الاولى ملحقة بالمعابد(٥٤) ، حيث كان المعبد المدرسة الاولى لتنشئة الجيل وتعليمه كما كان الكهنة فيها المعلمون الاوائل والمؤسسون الفعليون لتلك المدارس(٥٥) .

فقد ظهرت الحاجة الى مراكز التعليم منذ وقت مبكر ، لتقوم بتدريب الاولاد على مبادئ القراءة والكتابة وتعليمهم فيما بعد العلوم الاساسية الاخرى(٥٦) .

فقد ابانت المكتشفات الاثرية الى ان تعليم الاولاد كان قد ابتدأ منذ ابتداع الكتابة كما تشير الى ذلك اقدم الالواح المكتشفة في الوركاء (الطبقة الرابعة) وهي تحمل كتابة صورية على الالواح مما يمكن تسميته بالنصوص او الالواح المدرسية التي كان قد كتبها المبتدئون لتعلم الكتابة الصورية(٥٧) .

كما اظهرت التحريات الاثرية عن مجموعة من الالواح المدرسية المهمة الاخرى التي ترقى بتاريخها الى العصر البابلي القديم خلال النصف الاول من الالف الثاني ق.م .

ومن خلال دراسة تلك الرقم المدرسية تمكن الباحثون من تقسيم المدارس في بلاد الرافدين الى نوعين :

أ. **المدارس الابتدائية** : وهي المدارس التي كان يتلقى فيها التلميذ اللغة والقراءة والكتابة والحساب ومعرفة المفردات اللغوية والموسيقى ، ويطلق عليها بالمصطلح السومري "ا دبّا E. DUB. BA.A" اما في اللغة الاكدية فسميت (بيت طبِّ *bit-tuppi*) والتي تعني بيت الالواح(٥٨) .

ب. **المدارس المتقدمة** : تشمل المدارس التي كانت تعلم العلوم على اختلافها كالرياضيات والفلك والطب والسحر والادب وغيرها ، وسميت هذه المدارس بـ (بيت الحكمة) (بيت مُمّ *bit-*

---

(٥٢) الراوي : المدرسة في العراق القديم ، المصدر السابق ، ص٥-٦ .

(٥٣) الجادر ، وليد : من مراكز المعرفة في العراق القديم "مدينة سبّار" ، مجلة بين النهرين ، العدد ٦٧ ، ١٩٨٩ ، ص٢٨ .

(٥٤) ساكز ، هاري : الحياة اليومية ، المصدر السابق ، ص٨٣ .

(٥٥) سعيد ، مؤيد : المدن والمدنية والمعابد ، المدينة والحياة المدنية ، ج١ ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص١٢٦ .

(٥٦) سليمان ، عامر : اللغة الاكدية ، ص١٦٣ .

(٥٧) المصدر نفسه ، ص١٦٣ .

(٥٨) الشيخلي ، عبد القادر عبد الجبار ، المدخل الى تاريخ الحضارات القديمة ، ق١ ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص٢٣٢ .

mumme) اذ كانت هذه المدارس بمثابة المعاهد العالية ، وقد اطلق على الملتحقين بها بالقول (الدخول في بيت الحكمة) [اريب (بيت) مُمّ *erib(bit) mumme*]⁽٥٩⁾ .

وتكشف الادلة المقدمة من النصوص عن نشاطات المدرسة واساليب التعليم فيها من مواقع عدة مثل اور وسبار ونفر فقد عثر في اروقة الغرف المدرسية فيها على الكثير من الرقم التعليمية⁽٦٠⁾ .

هذا وان مواصفات التصميم الهندسي للبناء الذي كشفت عنه البعثة الفرنسية في مدينة ماري (تل الحريري) على نهر الفرات تشير الى انه كان هناك بناء مدرسة فعلا حيث كان يتألف من غرفتين تشمل كل منهما على عدة صفوف من المقاعد شيدت باللبن وعثر بجانبها على ادوات مدرسية واحواض مياه كانت تستخدم من قبل الطلبة لتحضير الرقم الطينية ، اما المقاعد (المصاطب) فقد اعدت كما يبدو للجلوس عليها ويتسع المقعد لجلوس طالب واحد او طالبين او اربعة طلاب⁽٦١⁾ . انظر شكل رقم (١) .

ومن الوحدات البنائية الاخرى التي يمكن عدها من ابنية المدارس القديمة تلك الغرف التي تم الكشف عنها في شروباك (تل فارة) خلال الحفريات التي جرت فيها بين السنوات (١٩٠٢-١٩٠٣) والتي تعود الى عصر فجر السلالات السومرية⁽٦٢⁾ .

كما اظهرت التحريات مجموعة من النصوص المدرسية في اروقة معبد انانا . في اوروك (الوركاء) ، وعثر ايضا على اكثر من ثلاثة الاف رقيم طيني في معبد نابو شخاري في بابل وهذه النصوص تخص تعليم التلاميذ في مختلف المراحل الدراسية⁽٦٣⁾ .

ويظهر ان المدارس الاولى خلال العصور السومرية المبكرة كانت ضمن احد اجنحة المعابد في المدن القديمة أي ان المدرسة كانت ملحقة بالمعبد⁽٦٤⁾ .

اما في العصر البابلي القديم بحدود (٢٠٠٠-١٦٠٠ ق.م) فقد بات مؤكدا ان المدارس كانت اما مرتبطة بالقصور او انها اصبحت مستقلة عن المعبد والقصر ، ففي القصر التابع لنور

---

(٥٩) سليمان : اللغة الاكدية ، المصدر السابق ، ص١٦٤ .

(60) Sasson , op , cit , P. 2269 .

(61) Parrot , Andre, “Les Fouiles De Mari , Syria, Tome 17, 1936, P. 21”

(٦٢) الفؤادي ، عبد الهادي : دور الثقافة في العراق القديم ، بغداد ١٩٦١ ، ص١٩ .

(٦٣) اسماعيل ، بهيجة خليل : "الكتابة حضارة العراق ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص٢٤٧" .

(64) BIOR, 27 , No ¾-1960 , P.142 .

ادد(*) عثر على الواح مدرسية تشير الى وجود جناح خاص للمدرسة في القصر ، كما عثر في مدينة الوركاء على عدد كبير من الالواح المدرسية داخل اروقة القصور الملكية(٦٥) .

ويبدو ان قسما من تلك المدارس كانت خاصة بالقصر ، يتعلم فيها ابناء الملوك وهي تحت اشراف الدولة والمعبد ، اما الطلاب من عامة الناس فكان عليهم ان يختاروا بين الدخول في المدارس النظامية او التعلم على يد استاذ خاص ، فقد انتشر الكتّاب في كل مكان واصبح عددهم اكثر من العصور السابقة وكان يعتمد عليهم في التعليم في أي وقت(٦٦) .

ومن الادلة المقدمة عل وجود مثل هذا النوع من التعليم الخصوصي ، مجموعة من النصوص المدرسية المكتشفة في اور ضمن احدى الوحدات السكنية اذ يرجح ان تكون مدرسة تعود الى شخص يدعى (شو – سن) ضم فيها (٢٠٠٠) نص مدرسي(٦٧) .

وعلى الرغم ان فترة الاحتلال الكشّي لبلاد بابل التي استغرقت اكثر من (٤) قرون (١٦٠٠–١١٦٨ ق.م) وما انعكس على ذلك من تبعات وتأثر في حركة التعليم لان السلالة الحاكمة كانت اقل حضارة من السكان البابليين الاصليين الا انه يلاحظ ان هذه المدة شهدت نشاطا في حركة استنساخ النصوص القديمة وتدوين النصوص الادبية ومحاولة استخدام الكتبة للاساليب الاكدية القديمة المتميزة باناقتها ، وخاصة في كتابة النصوص الملكية ، وقد وصلتنا مجاميع من النصوص الاكدية المدونة والمستنسخة في مدة الاحتلال الكشّي على بلاد بابل(٦٨).

كذلك ترد اشارة واحدة حول وجود المدارس في بلاد اشور من العصر الاشوري الحديث (٩١١–٦١٢ ق.م) كان يتم تدريب الكتبة فيها ، فقد ذكر عن مجموعة تسمى (كتبة كالزِ)(*) اشارة الى تلاميذها وهم يتعلمون مهنة الكتابة . الا انه ليس لدينا ادلة على وجود مدارس اخرى لحقول اخرى من التعليم هناك(٦٩) .

لقد امدتنا النصوص المسمارية المكتشفة في هذه المدارس بمادة غنية عن نظام التعليم ومعلومات مهمة اخرى تخص المدرسة وادارتها وما تضم من طلبة ومعلمين وعن مناهج الدراسة واساليب التعليم كما كان من بينها نصوص تحمل ذكريات الكتبة الخاصة في ايام حياتهم

(*) نور – ادد (١٨٦٥–١٨٥٠ ق. م) الملك الثامن من سلالة لارسا .

(٦٥) لوكاس : المصدر السابق ، ص٢٦ .

(٦٦) الزيباري ، المصدر السابق ، ص٥ .

(67) Gadd: The Excavation at UR , New York, 1975 , P. 176 .

(٦٨) باقر ، طه : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ط٣ ، بغداد ، ١٩٧٣ ، ص٤٥٨ .

(*) وهي مدينة جنوب غربي اربيل على مسافة حوالي ثلاثين ميلا شرقي كلخُ (نمرود) .

(٦٩) ساكز ، هاري : قوة اشور ، ترجمة عامر سليمان ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، بغداد : مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٩٩ ، ص٢٠٩ .

الدراسية المبكرة ونصائح وامثلة ذات علاقة بايام الدراسة ، مع اشادات باهمية التعليم في حياة الطالب(٧٠) .

وقد وردت هذه المعلومات على هيئة نصوص تعليمية كتبها التلاميذ بالسومرية في تلك المدارس التي تدربوا فيها . واعطوا وصفا مفصلا لما كان يجري في اروقتها(*) .

ومن المعطيات التي وصلتنا من هذه النصوص ايضا ما يسمى بالعملية التعليمية والتي كانت تدور عل ثلاثة محاور رئيسية هي :

١. الطالب ٢. المعلم ٣. المناهج الدراسية

وقد توضحت من خلال دراسة هذه النصوص صورة تكاد تكون متكاملة عن الحياة الدراسية وكان من بين تلك النصوص ، ما اطلق عليه الباحثون مجازا (ايام الدراسة) و (المشاكسون في المدرسة) و (الكاتب وابنه الضال) و (حوار بين وكيل وكاتب) (٧١) .

فقد اشير في هذه النصوص عن الجوانب المفصلة للحياة التعليمية وانظمتها وتمييز شخوصها ويأتي في مقدمتهم او على رأس الهرم التعليمي (**الخبير او المتخصص**) وكان يطلق عليه بالمصطلح السومري (**أُميّا** UM. MI. A) ويقابله باللغة الاكدية : (أُمِّآنِ *ummianu/ummenu*) والتي تقابل في وقتنا الحاضر المشرف التربوي او الاختصاصي(٧٢) .

يلي الخبير في سلّم الكادر التعليمي (مدير المدرسة) والذي يدعى باللغة السومرية (**ادِ. أِ. دُبّا** AD. E. DUB. BA) ويقابلها بالاكدية (**اب– بيت – طُبّاتِ** *ab bit tuppati*) وتعني حرفيا (ابو المدرسة) وكان له دور بارز في عملية التعليم وادارة شؤون المدرسة(٧٣) .

ويأتي بعد مدير المدرسة ، (**الاخ الكبير** ، الذي يعاونه في التعليم وادارة المدرسة) ويعتقد انه كان تلميذا في مرحلة دراسية متقدمة يوكل اليه المعلمون مهمة مساعدة المبتدئين من زملائه التلاميذ في تحضير واجباتهم اليومية ومتابعتهم في اداء ذلك ويطلق عليه باللغة السومرية (**شيش . كال** SES. GAL) ويقابلها بالاكدية (**أخُ – رآبُ** *ahu rabu*) ، اذ كان يقوم بكتابة

---

(٧٠) سليمان : اللغة الاكدية ، ص١٦٣ .

(*) ويبرز في استخلاص هذه النصوص ودراستها وترجمتها عالمان هما (صموئيل نوح كريمر) من فيلادلفيا و (سي . جي . جاد) من المتحف البريطاني وجامعة لندن .

(٧١) ساكز ، قوة اشور ، المصدر السابق ، ص٨٣ .

(٧٢) سليمان ، عامر والجبوري ، علي ياسين وفاضل ، عبد الإله واسماعيل ، بهيجة خليل ، ومتولي ، نوالة أحمد : المعجم الاكدي (باللغة العربية والحرف العربي) منشورات المجمع العلمي ، الموصل : مؤسسة دار الكتب ، ١٩٩٩ ، ص٩٧ ، وكذلك ينظر : CDA, P. 422 .

(73) Gadd , op . cit , pp. 16-17 .

الالواح الجديدة للتلاميذ بغية استنساخها في المدرسة والبيت ومن ثم يفحص استنساخاتهم ويستمع اليهم بعد تحضيرها وقراءتها في اليوم التالي(٧٤) .

وقد كان للاخ الكبير (شيش كال) الدور المهم في هذا الجانب اذ اتقن اسلوب استنساخ هذه النصوص الادبية كما الَمَّ باسلوب وتركيب الرسائل والعقود بطريقة الاستنساخ ، كما كان يتقن مصطلحاتها المستخدمة وفي كل اختصاص معين باستنساخ قوائم للمفردات الفنية ، لقد سهلت عملية تصنيف هذه المصطلحات في مجاميع وقوائم خاصة وحسب الموضوعات عملية التعلم وقلل من جهد الطلبة الى حد ما في معرفة المصطلحات المستخدمة في النحو والانشاء المعقد ويبدو ان غالبية هذه القوائم المعجمية كانت مقررة للطلبة المتقدمين(٧٥) .

كما كان من ضمن الهيئة الادارية في المدرسة **(رجل النظام)** وكان يطلق عليه المصطلح السومري (^{LU} GIS. HUR . RA) اذ كان يقوم بمراقبة سلوك التلاميذ خارج المدرسة(٧٦) .

الى جانب ذلك كان هناك المسؤول عن الانضباط في المدرسة وكان يدعى بـ **(رجل السوط** ^{LU} AS. NA. GA) (٧٧) .

اما فيما يتعلق بالمعلمين فمنهم معلم اللغة السومرية ومعلم اللغة الاكدية ومعلم النشيد الذي كان يطلق عليه (NAR. GAL) ويقابله بالاكدية (**نركلٌ** *nargallu*) أي **الموسيقي الكبير** و (NAR. TUR) ويقابله باللغة الاكدية (**نرتُرٌ** *narturru*) أي **الموسيقي الصغير**(٧٨) .

هذا فضلا عن بقية المعلمين الذين سيرد ذكرهم لاحقا في الفصل الثاني عند دراسة اصناف الكتبة حيث كانوا من المتخصصين في لدراسات العلمية والادبية والتطبيقية .

اما التلميذ فقد عرف بالمصطلح السومري (DUMU. E. DUB. BA) أي ابن المدرسة او **ابن بيت الالواح** ويقابله باللغة الاكدية (**مار–بيت–طُبّاتِ** *mar bit tuppati*) وكذلك (**شَمَلُ صِخرُ** *samalu sehru*) او *agisgu* واللذان يعنيان المتدرب الصغير وهذا اللقب كان يوصف به التلميذ في المدرسة قبل ان يتخرج ويمنح لقب (DUB.SAR) . كما وردت مصطلحات للاشارة الى التلميذ مثل

---

(٧٤) سليمان : اللغة الاكدية ، ص ١٦٨ .

(75) Sasson , op, cit, P. 2272 .

(76) Gadd , op . cit , P. 18 .

(٧٧) كريمر : السومريون ، المصدر السابق ، ص٤٧–٤٨ .

(٧٨) المصدر نفسه ، ص٢٣٨ .

(**طبشر صخر** *tupsarru sehru*) : AKK و (**دبسار. تُر** DUB. SAR.TUR) : SUM التي تعني **الكاتب الصغير** أو المتدرب(٧٩) .

وفيما يخص المناهج التعليمية(*) فقد كانت المدرسة تدرس جميع خصائص مهنة الكاتب للالمام بالمنهج الدراسي الذي كان يغطي اربعة حقول تعليمية هي : اللغة (بضمنها المفردات والقواعد) والادب والرياضيات (وبضمنها المساحة) والموسيقى . وفي الفترة الاكدية حلت اللغة الاكدية محل السومرية كلغة في المخاطبات الرسمية والدبلوماسية وفي تدوين العقود الاقتصادية في بلاد الرافدين مما تطلب من التلاميذ اتقانها في المكاتبات(٨٠) .

ثم بعد ذلك سادت اللهجة البابلية كلغة مكاتبات رسمية ومن ثم الاشورية ، وعلى الرغم من سيادة استخدام هاتين اللهجتين المتطورتين عن اللغة الاكدية في الكتابة ، الا ان الكتبة حافظوا على المصطلحات السومرية في مدوناتهم لوقعها المتميز في النفوس .

اذ انها كانت تمثل لغة الدين والادب والتعليم في المدارس البابلية والاشورية ايضا وبذلك كان ينبغي على الطلبة تعلم مفردات السومرية عند دخول المدرسة والالمام بها . وقد

حافظ اولئك الكتبة على الانشاءات السومرية وترجموها الى الاكدية ايضا ، الى نهاية استخدام الكتابة المسمارية(٨١) .

لقد كانت المراحل الاولى لدراسة اللغة مترابطة بتعليم الرموز الكتابية قراءة وكتابة على الرقم الطينية ، اذ كان المعلم ومساعده يكتبان الدروس اليومية للطلبة على اوجه الالواح القرصية او المحدبة الشكل انظر شكل رقم (٢) ، ثم كان على الطالب القيام باستنساخ تلك الدروس على ظهر تلك الالواح ، وفي البداية كان على اولئك التلاميذ ان يتعلموا ايضا كيفية تحضير الرقم الطينية وتهيئتها للكتابة ، ومن ثم كيفية ضغط وطبع الاسفين (المسمار) الافقي والعمودي والقطري (المائل) على تلك الرقم الطينية الطرية وترتيبها بشكل منظم يؤدي الى طبع الرموز المسمارية بدقة(٨٢) .

---

(٧٩) الفؤادي ، عبد الهادي : نصوص مدرسية في المتحف العراقي (القرصية الشكل) ، القسم الاول ، بغداد ، ١٩٧٩ ، ص٦٤ وكذلك ينظر : CDA, PP. 352, 415 .

(*) للمزيد من التفاصيل عن المناهج في بلاد الرافدين القديمة ينظر : النعيمي ، شيماء علي : المناهج التعليمية في ضوء النصوص المسمارية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، ٢٠٠١ .

(80) Sasson : op. Cit, p. 2270 .

(81) Ibid , p. 2270 .

(82) Ibid , p. 2271 .

وهكذا كان على الطلبة التمرس على كتابة الرموز الاولية ، ثم المقاطع الصوتية والتحول بعدها الى كتابة النصوص القصيرة ، وعادة ما تكون عبارة عن امثلة قصيرة وحكم ، وحالما يتقن الطلبة اسس تشكيل الرموز ، يشرعون بدراسة عناصر اللغة والادب(٨٣) .

لقد كانت التوجيهات التعليمية في مدارس بلاد الرافدين القديمة تحتم ضرورة المحافظة على الادب السومري واحيائه باستمرار من خلال تعليم الطلبة على استنساخ تلك النصوص الادبية واتقان مواد الانشاء السومري والنحو للطلبة الاكثر تقدما ومن بين النصوص الادبية التي تمت المحافظة عليها طيلة العصور المتعاقبة ، الترنيمات الملكية ومجاميع الامثال والنصوص الاسطورية والمحاورات والمفاخرات والمناظرات وادب الفكاهة الخيالية مثل (الفأس والمحراث ، والصيف والشتاء ، والنخلة وشجرة الاثل ، والفلاح والراعي) . والتي قدمت فيها محاورات رائعة لدعم معاني التفوق والقيم الحياتية الفاضلة(٨٤) .

وبعد انتهاء المقررات الدراسية كان لابد من اجراء اختبار خاص للطلبة لمعرفة مستوياتهم وهو ما يطلق عليه في مصطلحات التعليم المعاصرة بالامتحان او (القياس والتقويم) .

فقد كشفت النصوص عن اجراء تلك الامتحانات للطلبة اذ ورد في كسرة من نص(*) يظن انه رقيم لامتحان طالب وعلى الرغم من انها غير متكاملة الا انها تلقي الضوء على هذا الجانب وتكشف عن طبيعة اداء امتحان اولئك الطلبة . وفيما يلي نقتبس بعضا من هذا النص الخاص بامتحانات الطلاب :

– الأستاذ : س١ : بدأ فن الكتابة بالمسمار . والمسمار له ست قراءات مختلفة ويرمز ايضا الى الرقم (٦٠) فهل تعرف أسم هذا المسمار ؟ .

س٢ : كل ماتعلمته من اللغة السومرية ، هل تعرف ما يقابله بالاكدية ؟ .

س٣ : هل تعرف كيف تترجم الكلمات عندما تكون اللغة الاكدية في النص إلى الاعلى والسومرية الى الاسفل او عندما تكون اللغة السومرية في الاعلى والاكدية في الاسفل ؟ .

س٤ : هل تعرف ماهية الغناء ؟ .

---

(83) Sasson : op. cit, p. 2271 .

(٨٤) باقر ، طه : مقدمة في ادب العراق القديم ، بغداد ، ١٩٧٦ ، ص١٦٤-١٦٥ .

(*) قام بنشره الاستاذ / د. سايبرك من جامعة بنسلفانيا عام ١٩٧٢ تحت عنوان (في مديح فن الكتابة) وهو يحتوي على اربع امتحانات هي A-B-C-& D انظر : Sjoberg,A.W, (JCS), Vol. XXIV, PP. 138-168.

س٥ : هل تعرف في اللغة الاكدية لهجة صاغة الذهب والفضة ؟ ولهجة صانعي الاختام الاسطوانية ؟ وهل تفهم كلامهم ؟ .

س٦ : هل تعرف لغة الخطباء ؟ وهل تستطيع التفريق بين لهجة رعاة الماشية ولهجة السقّانة ؟ وهل تعرف مصطلحاتهم ؟ .

س٧ : هل تعرف عملية ضرب الاعداد ؟ وهل تعرف استخراج معكوس الاعداد ؟ وهل تعرف معاملات الاعداد ؟ وهل تعرف مسك الدفاتر ؟ وهل تعرف تسوية الحسابات الادارية ؟ وهل تعرف التعامل التجاري ؟ وهل تستطيع مسح الحقول(٨٥) ؟ .

وقد كان الطالب يُسأل ان يكتب تمرينا وبعد ذلك يدون اسمه بالعلامات المسمارية فاذا نجح الطالب في انجاز ذلك قيل له : (**انت كاتب**) ومن ثم يحذّر الطالب الناجح من الغرور ، ولعل اداء هذا الامتحان الخاص كان من المستلزمات الضرورية التي يخضع لها جميع الطلبة قبل السماح لهم بالشروع او التقدم في الدراسة المتقدمة او القيام باداء بعض الممارسات الكتابية العامة التي تؤهله للانتقال الى اساسيات مهنة الكتابة وممارستها ، وبذلك يعد كاتبا ، فكان للطلبة المتميزين مواصلة دراسة العلوم والمعارف الادبية وربما يمكّنهم ذلك من محاولة انتاج المؤلفات الاصلية في حقل الادب(٨٦) .

وبعد ذلك تتحقق امنية التلميذ وحسبما ذكرته الاحجية السومرية القائلة عن (المدرسة) : (.... بيت يدخل فيه مَنْ عيناه مسدودتين ويخرج منها مَنْ عيناه مفتوحتان) !(٨٧).

---

(٨٥) رشيد ، فوزي : المدارس الفكرية في العراق القديم ، مجلة آفاق عربية ، الاعداد ٢،٣،٤ ، بغداد ، ١٩٩١ ، ص١١٤ .

(٨٦) ساكز : الحياة اليومية ، المصدر السابق ، ص٨٦ .

(٨٧) كريمر : السومريون ، المصدر السابق ، ص٢٣٩ .